كما حج النبي صلى الله عليه وسلم

دقائق المعاني في حجة الوداع
من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

أ. د. محمد محمد داود

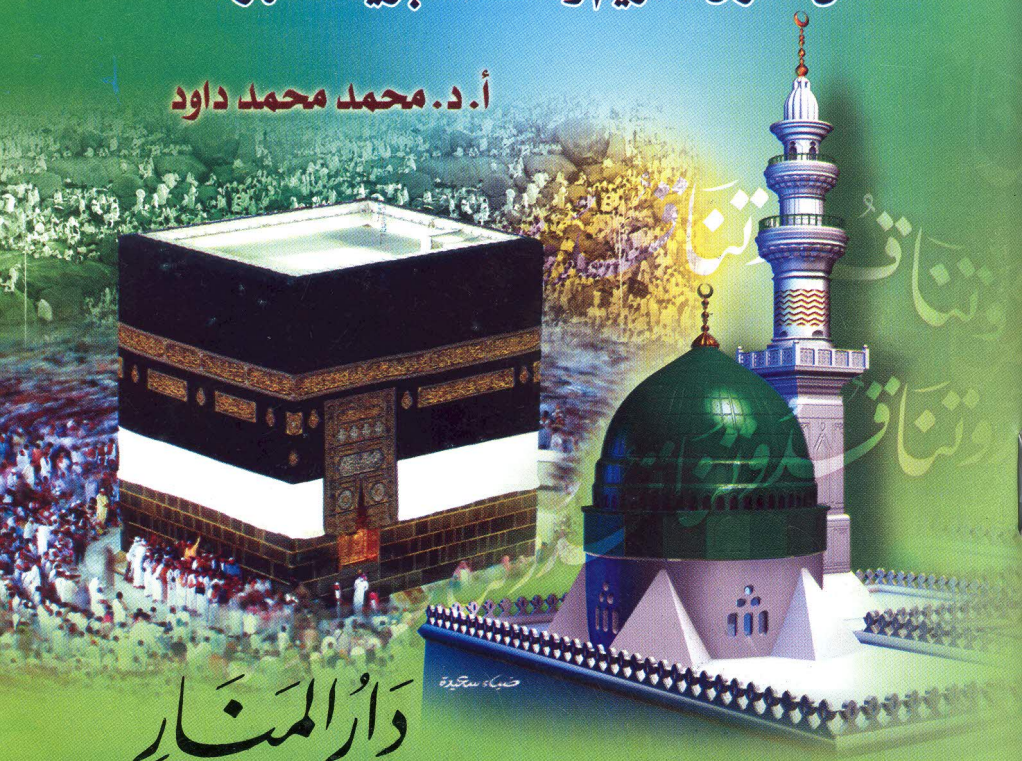

دار المنار

كما حج النبي ﷺ

دقائق المعاني في حَجَّة الوداع
من القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة المطهَّرة

أ. د/ محمد محمد داود

الأمين العام للمركز العالمي للقرآن الكريم وعلومه "جمعية المعرفة"

والمشرف العام على موسوعة بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات

الموقع التفاعلي للموسوعة: *www.bayanelislam.com*

دار المنار

للنشر والتوزيع

٩ ش حسن العدوى - الحسين

تليفون: ٢٥٩١٥٠٨٥

كما حج النبي ﷺ

دقائق المعاني في حَجَّة الوداع
من القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة المطهَّرة

أ. د/ محمد محمد داود

الأمين العام للمركز العالمي للقرآن الكريم وعلومه "جمعية المعرفة"

والمشرف العام على موسوعة بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات

الموقع التفاعلي للموسوعة: ***www.bayanelislam.com***

المحتويات

مُقدِّمة ٥

كما حجَّ النبي ﷺ ٧

بين يدي النبي ﷺ ٧

قبل الحج ١٣

سياق الأحداث والمواقف قبل الحج ١٣

العام الثامن الهجري وفتح مكة ١٥

عام الوفود (التاسع الهجري) ٢٠

نزول آية فرض الحج ٢١

العام العاشر الهجريُّ وحَجَّةُ الوداع ٢٢

كم كان عدد الصحابة الذين كانوا مع النبي ﷺ في حجة الوداع ٢٧

وعثاءُ السَّفرِ ومشاكلُ الطريقِ ٢٩

مَرَضُ الرَّسولِ ﷺ ٢٩

تلطُّف النبي ﷺ مع أمَّهات المؤمنين ٣٠

بعير الزاد التائه ٣١

على خُطَى الأنبياء عليهم السلام ٣٢

من رفق النَّبيِّ ﷺ بأصحابه..... ٣٤
في مـكـة ٣٥
في الأَبْطَح..... ٤٠
رسول الله ﷺ يدعو لسعد بن أبي وقاص ﷺ بالشفاء..... ٤١
إلى مِنى (الثامن من ذي الحجة)..... ٤٢
إلى عرفات (التَّاسع من ذي الحجة) ٤٢
تأمُّلات في خُطبة الوداع ٤٥
إلى مزدلفة..... ٤٨
يوم النَّحْر (العاشر من ذي الحجة) ٥٠
إلى منى (العاشر من ذي الحجة) ٥١
النبي ﷺ في المَنْحَرِ ٥٩
النبي ﷺ بين يدي الحلَّاق..... ٦١
إلى طواف الإفاضة (العاشر من ذي الحجة) ٦٢
النبي ﷺ بمنى..... ٦٤
النبي ﷺ يرمي الجمار ٦٧
الوداع ٧٠
رجـــاء ٧٢

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّ الله ورسوله، سيِّدِنا محمَّد رحمة الله للعالمين. اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عليه وعلى آله وصَحْبِه والتَّابعين، وبعد:

فهذه سطور مضيئة، من فيض المشاعر، ولهفة الأشواق، وشغف الحبِّ، وتدفُّق الحنين.. إلى قُرَّة أعيننا، وتِرْياق نفوسنا، وبلسم قلوبنا، وأُغْرودة شِفاهِنا.. إلى عطر ذِكرَى الهادي البشير، والسِّراج المنير، إلى نور الله فينا، ورحمة الله للعالمين.

وما دفعني لكتابة هذه السطور إلَّا الرَّغبةُ الصَّادقة في صُحبة النبي ﷺ في أقدس اللَّحظات.. المتبتِّلة الوقورة.. لحظات الوداع، والنبيُّ ﷺ يوصي أُمَّته وصيَّةَ مودِّع.. في أفضل البقاع وأشرف الأزمنة.

هذه السطور محاولة على استحياء، للفوز بشرف المكان، وفضل الزَّمان، وبركة التَّأسِّي برسول الله ﷺ في حجَّة الوداع.

هذه السطور محاولة للقُرب من حبيبنا الهادي ﷺ، تسعى بنا قدمُ

المحبَّة والشَّوق والحنين، وتتراجع بنا قدم التفريط والتقصير، لكن الرَّجاء غالب. كيف لا؟ وقد وصف الله تعالى حبيبنا ﷺ بقوله ﷻ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة].

أسأل الله تعالى أن يكتب لهذه السطور التوفيق، وأن ينفع بها ويرفع ويهدي ويُقرِّب، وأن يتقبَّلها منِّي بقبول حسن، فإنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم. والحمد لله ربِّ العالمين.

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

محمد محمد داود

المسجد الحرام بمكة المكرمة

قبل الفجر في

١٦ من ذي الحجة ١٤٣٣هـ

الموافق ١ من نوفمبر ٢٠١٢م

كما حجَّ النبي ﷺ

مع الرسول ﷺ في حَجَّة الوداع

(حيث فضل المكان وشرف الزمان)

وماذا فعل؟ وكيف فعل؟ وأين فعل؟

ومتى فعل؟ ولماذا فعل؟

- **بين يدي النبي ﷺ**

هذه رحلةُ أَفْضَلِ خَلْـقِ الله تعـالى إلى أَفْـضَلِ البقـاعِ وأَشْرفِهـا وأحبِّها إلى الله تعالى، مَهْدِ الإيمانِ ونبعِ الرَّبَّانيَّـةِ، حيـثُ أوَّلُ بيـتٍ وُضع للناس بمكة مباركًا، حيث الثَّواب المضاعَف إلى مئـة ألـف، وحيثُ وُلِدَ رسول الله ﷺ وحيثُ نشأ، وحيثُ بدأَ الـوحيُ يتنـزَّلُ على قَلْبِهِ الشَّرِيف أَوَّلَ مـا نـزل، فبَلَّـغَ الرِّسـالةَ وصـدَعَ بـما أَمـرَهُ ربُّه ﷻ، وحيثُ بدأتْ قصَّةُ الخلودِ لهذه الأمَّة، في اللَّيلـةِ المبارَكـةِ: ليلةِ القَدْرِ في غارِ حِراء، وعند كُلِّ جبلٍ أو ثَنِيَّةٍ أو مُنْعَطَفٍ أو بُقْعَةٍ

من تلكَ البقاعِ المقدَّسةِ قصَّةٌ وآيةٌ تكادُ تنطقُ بها الجماداتُ، وتُرَدِّدها النَّسائمُ المعَطَّرةُ بأطيبِ الذِّكرياتِ وأقدسِ النَّفحات.

وبعد أنْ أكمَلَ الله تعالى دينَهُ وأتَمَّ نعمتَهُ، وانتصر الحقُّ، وزهَقَ الباطلُ، وأخذَ النَّاسُ يدخلون في دينِ الله أفواجًا، كانت الرِّحلةُ التي تهفو إليها المشاعرُ، وتتشوَّق الأرواحُ لتكون مع النبي ﷺ، نخترق الزمان ونطوي الأيام عسى أن نُطفئَ نارَ الشَّوق ولوعةَ الحنين؛ ونكونَ في رُفْقَةِ الحبيبِ الهادي محمد ﷺ، لنكونَ مع النبيِّ في حَجَّةِ الوداع.

ومن الأَدبِ اللائقِ بسيِّدِنا رسولِ الله أن نتوجَّه إليه نستسمحُ ونستأذن.

سيِّدي يا رسولَ الله! يا قُرَّةَ العَيْنِ، وتِرْياقَ النَّفْسِ، يا بَلْسَمَ الفؤادِ وأُغرودةَ الشِّفاهِ، وترنيمةَ القلوبِ الهائمة.. واحدٌ من الملايين التي آمنتْ بك ولم تكتحِلْ أعينُها برؤيتك، وأنت فيها مِلءُ القلوبِ، وأنت فيها تزكيةُ النُّفوسِ، وأنت فيها عطرُ الذِّكرى، وأنت فيها السِّراجُ المنيرُ بكلِّ سبيل.

سيِّدي يا رسولَ الله! كَمْ كانَ بِوُدِّي وَبِوُدِّ هذه الملايينِ أنْ نفوزَ بصحبتِك المباركةِ مع الصحابةِ الأطهارِ في حجَّة الوداع! كم كان بِوُدِّنا أن نكونَ معك وفي معيَّةِ بركاتِ الله وعنايتِه التي أَحاطتْ بصحابَتِكَ الكرامِ ﷺ مِنْ حَوْلِكَ يأتمُّون بك ويأخذون عنك مناسكهم في حجَّةِ الوداع.

سيِّدي يا رسول الله! وإنْ فاتنا فَضْلُ هذه الصُّحبة وبركاتُ هذه المعيَّةِ، فإنَّا نستسمحُ ونستأذن. نستسمحُ في أن نعيش هذه الصُّحبةَ المباركةَ من خلال السُّنَّة النَّبوية المطهَّرة؛ لتتحقَّقَ لنا فيك الأُسْوةُ الحسنةُ والقُدوةُ الطَّيِّبةُ، فنحُجَّ كما حجَّ حبيبُنا وسيِّدُنا النبي ﷺ.

سيِّدي يا رسول الله! وإنِّي أستأذن.. أستأذن في الحديث عنك؛ أستأذن لأنَّ البيان قاصر؛ ولأنَّ الباع قصير، وما كان لمثلي أن يجرُؤَ على الحديث عنك لولا الحبُّ والودُّ، وواجب الدَّعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.

ولولا واجب البيان لهديك الهادي للبشر كافة، وواجب البيان لعظيم مِنَّة الله تعالى علينا ببعثتك فينا: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ**

﴿ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران].

وواجبُ البيانِ لعظيمِ فضلِ الله تعالى على العالمين، فأنت الرَّحمةُ المُهداة، والنِّعْمَةُ المُسْدَاة: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء].

وواجبُ البيانِ لجليلِ قَدْرِك عند ربِّك ﷻ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم]، ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور: ٤٨]، ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ [الضحى].

سيِّدي يا رسول الله! نستسمحُ ونستأذنُ أنْ نعيشَ معك، وزادُنا في رحلتِنا هذه إيمانُنا الموقِنُ بك، وحبُّنا الشَّاغفُ لك، وشوقُنا اللَّاهفُ إليك.

سيِّدي يا رسول الله! نَحِنُّ إليك.. نسعَى لنكونَ بين يديكَ مع هذه الجموعِ المؤمنة، التي فازتْ بالصُّحبةِ المباركة، فنالتْ شرفَ الثَّناءِ عليها من الله تعالى، فمدحَهُم الله ـ مهاجرينَ وأنصارًا ـ في

القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة].

مع أفواجِ الحبِّ والإيمانِ والخشوعِ والتبتُّلِ، مع هذه الصَّفوةِ من وَفْدِ الرَّحمنِ.. تسعى بنا قَدَمُ المحبَّةِ والشَّوقِ واللهفة.. وتتراجعُ بنا قَدَمُ التقصيرِ والتفريط.. لكن حُبَّك لأمَّتِكَ وشفَقَتَكَ علينا، وأنت الحريصُ علينا الرءوفُ الرَّحيم بنا، يجعلُ الرجاءَ غالبًا، كيف لا؟! وقد قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة].

سيِّدي يا رسولَ الله! معك نحُجُّ امتثالًا لهدْيِك المبارك: «خُذُوا عَنِّي مناسككم»، وتحقيقًا لدعوة أبينا إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا

مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة].

معًا إخوة الإيمان، هيَّا إلى النبيِّ ﷺ نعيشُ معه، ونحُجُّ كما حـجَّ النبيُّ ﷺ، ومرجعيَّتنا في ذلك القرآنُ الكريمُ والسُّنَّةُ النَّبويَّةُ المطهَّرة.

والله وليُّ التوفيق والسَّداد

ومنه المعونة والرَّشاد

قبل الحج

- **سياق الأحداث والمواقف قبل الحج**

الوقوفُ على سياقِ الأحداثِ والمواقفِ التي فُرِضَ في أثنائها الحجُّ، يُعطينا صورةً صادقةً لخصوصيَّةِ هذا الرُّكنِ (الحجِّ) من أركانِ الإسلامِ، إنَّه فُرِضَ بَعْدَ تمكينِ الأركانِ الأربعةِ الأُخْرَى: (الشَّهادتين، الصلاةِ، الزكاةِ، الصيامِ)، ثُمَّ جاءَ الحجُّ تاجًا تكتملُ به العبوديَّةُ الصادقةُ لله تعالى، ويكتملُ به البناءُ الإيمانيُّ للإنسانِ المسلمِ. فعبادةُ الحجِّ تُربِّي في المسلمِ التَّسليمَ الكاملَ لله تعالى في كُلِّ ما أَمَر: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء].

كيف لا؟! والمسلمُ في الحجِّ يُقَبِّل حَجرًا ويرمي حَجرًا بحجرٍ آخَرَ؟ والتعظيمُ في الحالَيْنِ لأمرِ الله. إنَّ المسلمَ في الحجِّ يتعلَّمُ ـ بِحَقٍّ ـ كيف يُعَظِّمُ أوامرَ الله وشعائرَه: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ

ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

كما يترَفَّعُ المسلمُ في الحجِّ عن الجدالِ ويصطفي أطيبَ الكلامِ لذِكْرِ الله ﷻ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة]، ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [البقرة].

إنَّ السَّبيلَ القويمَ للوقوفِ على حقيقةِ هذه العبادةِ ومقاصدِها الشرعيَّةِ يتأتَّى بالتدبُّرِ لحجَّةِ الحبيبِ الشَّفيعِ سيِّدِنا رسولِ الله ﷺ ماذَا فعلَ؟ وأينَ فعل؟ وكيف فعل؟ ولماذا فعل؟

حتَّى نقفَ على مقاصدِ هذه العبادةِ الجليلةِ في حياةِ المسلمِ وفي حياةِ الأمَّةِ، ولنتعلَّمَ من سيِّدِنا رسولِ الله ﷺ أنَّ الحجَّ له مقدِّماتٌ

تَسبقُ الإحرامَ، وهي تمثِّلُ بشائرَ التوفيقِ للمسلمِ الصادقِ في عبادتِه، ولنتعلَّمَ من سيِّدِنا رسولِ الله ﷺ أنَّ النَّجاحَ في الحجِّ يتأتَّى بالإخلاصِ في العبادةِ وموافقةِ هَدْيِ الله ورسولِه فيها: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

ولنتعلَّمَ من رسولِ الله ﷺ أنَّ ما بَعْدَ الحجِّ امتدادٌ للعبادةِ، حيثُ تتحقَّقُ مقاصدُ العبادةِ في تهيئةِ المسلمِ لإقامةِ دينِ الله في نفْسِهِ وأهلِه ومجتمعِه ووطنِه والعالمِ كُلِّه، بَعْدَ أنْ أكْسَبَتْه عبادةُ الحجِّ الرَّبانيَّةَ.

- **العام الثامن الهجري وفتح مكة**

كان فتح مكة حدثًا تاريخيًّا فارقًا بين مرحلتين: مرحلةِ الـدَّعوةِ قبلَ التمكينِ، ومرحلةِ الدَّعوةِ بعدَ التمكين.

وكان ذلك الفتحُ المبينُ في العام الثامن من الهجرةِ النَّبويَّةِ، وقد سبقَتْه بشائرُ النَّصرِ المؤزَّرِ للإسلامِ والمسلمينَ: في بَيْعةِ الرِّضوانِ، وصلحِ الحديبية. عن عائشةَ أمِّ المؤمنينَ رضي الله عنها قالت: قُلْتُ: يا رسولَ الله، إنَّك تكثر من قولِ: سُبحانَ الله وبحمدِه، أستغفِرُ الله وأتوبُ إليه، قال: «خبَّرَني ربِّي أنِّي سَأرَى علامةً في أُمَّتي، فإذا

رأيتُها أُكثِرُ من قول: سُبحانَ الله وبحمدِه، أستغفِرُ الله وأتوبُ إليه، فقد رأيتُها: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣ ﴾ [النصر]» [مسلم].

وعند فتح مكة اهتزَّتْ قلوبُ العربِ جميعًا: مَنْ كان من أنصارِ النَّبيِّ ﷺ ومَنْ كانَ من أعدائِه.

أمَّا أعداؤُه الذين أخرجُوه وآذَوْه وقاتَلُوه، فقد ارتجفَتْ قُلوبُهم حين سأَلهم النبيُّ الكريم ﷺ: «ما ترَوْنَ أنِّي صانِعٌ بكم؟»، قَالُوا: خَيْرًا، أخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ! قال: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»!! أَهُناكَ من يعفو ويصفحُ مِثْلَ هذا العفو؟ أهُناك من هو بهذه الرَّحمةِ وذاك الكرمِ والرِّفقِ والتَّسامح؟ بلَى إنَّه رسول الله الذي وصفَه ربُّه بقوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧ ﴾ [الأنبياء].

وأمَّا الأنصارُ فقد كان لهم بعد فتح مكة موقفٌ إيمانيٌّ اهتزَّتْ له القلوب: تُرَى هل سيبقَى رسولُ الله ﷺ في مكة التي يُحبُّها، بل هي أحبُّ بلاد الله إليه؟ تلك الأرض العزيزة التي ما خرج منها النبي، بل أُخرِجَ منها، أخرجه أهلُه مهاجرًا؟! قال ﷻ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ

فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التوبة].

خواطرُ حرَّكَتْ مشاعرَ الأنصار، حين كان النبي ﷺ يوزِّع الغنائم ويُعطي بعض النَّاسِ تأليفًا لقلوبِهم، وشاعَ بين الأنصار أنَّ النبي ﷺ يميلُ إلى مكة وأهلِها من المهاجرينَ ويُفضِّلُهم على الأنصار، لعلَّه الحنينُ إلى أهلِه ووطنِه! لعلَّه قد رقَّ قلبُه الرءوفُ على أهل مكة، خاصَّةً بعد أن مكن الله له وللإسلام!

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: لَـمَّا قَسَمَ رَسُولُ الله ﷺ الغنائم بِالجِعْرَانَةِ، أَعْطَى قُرَيْشًا وَغَيْرَهَا مِنَ العَرَبِ عَطَايَا، ولم يكن في الأَنْصَارِ مِنْهَا شيء، فكثرت القَالَةُ (التَّذمُّر والاحتجاج)، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: أَمَّا رَسُولُ الله فَقَدْ لَقِيَ قَوْمَهُ! فَأَرْسَلَ النبيُّ ﷺ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ (زعيم الأنصار) ﷺ فَقَالَ: «مَا مَقَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْ قَوْمِكَ أَكْثَرُوا فِيهَا؟» فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ كَانَ مَا بَلَغَك. قَالَ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ

ذَلِكَ؟»، قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي، فقَالَ: «اجْمَعْ قَوْمَك، وَلا يكن مَعَهُمْ غَيْرُهُمْ»، فَجَمَعَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهُدَاكُمَ الله بي؟»، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: نَعُوذُ بِالله مِنْ غَضَبِ الله وَمِنْ غَضَبِ رَسُولِهِ، قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ عَالَةً (عَالَة: فقراء) فَأَغْنَاكُمَ الله بي؟ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: نَعُوذُ بِالله مِنْ غَضَبِ الله وَغَضَبِ رَسُولِهِ، قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ الله بَيْنَ قلوبكم بي؟»، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِالله مِنْ غَضَبِ الله وَغَضَبِ رَسُولِهِ. فَقَالَ: «أَلَا تُجِيبُونَ؟»، قَالَوا: الله وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ (أَمَنُّ: اسم تفضيل من المنِّ، وهو العطاء). قَالَ: لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ: أَلَمْ نَجِدْكَ طَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ؟ ومكذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ؟ وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ؟ وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاك؟!»، فَجَعَلُوا يبكون وَيَقُولُونَ: الله وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ.

قَالَ: «أَوَجَدْتُمْ مِنْ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَا أَعْطَيْتهَا قَوْمًا أَتَأَلَّفُهُمْ عَلَى الإسلام ووكلتكم إلى إسلامكم؟! لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا، وسلكتم واديًا أو شِعْبًا، لسلكت واديكم أو شعبكم، أَنْتُمْ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ (الشِّعَار: ما يلامس الجسد من الثياب. والدِّثَار: ثوب

يكون فوق ذلك، والمراد أنَّ الأنصار أقربُ النَّاس إلى قلب النبيِّ)، وَلَوْلَا الهِجْرَةُ لكنت امْرَءًا مِنَ الأَنْصَارِ»، ثُـمَّ رَفَـعَ يَدَيْـهِ حَتَّـى إِنِّي لأَرَى مَا تَحْـتَ مَنْكِبَيْـهِ، فَقَـالَ: «اللَّهُـمَّ اغْفِـرْ لِلأَنْـصَارِ، وَلأَبْنَـاءِ الأَنْصَارِ، وَلأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الأَنْـصَارِ، أَمَّـا تَرْضَـوْنَ أَنْ يَـذْهَبَ النَّـاسُ بِالشَّاءِ وَالبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ الله إلى بيوتكم؟»، فبكـى الْقَـوْمُ حَتَّـى اخْـضَلَّتْ لِحَـاهُمْ (سـقطت دمـوعهم فأغرقَـت لِحَـاهم)، وَانْصَرَفُوا وَهُمْ يَقُولُونَ: رَضِينَا بِالله رَبًّا، وَبِرَسُـولِهِ حَظًّـا وَنَـصِيبًا [مصنف ابن أبي شيبة، وله شواهد في البخاري ومسلم].

وعادَ الحبيبُ ﷺ مع الأَنصارِ إِلى المدينةِ وفاءً وحُبًّا لهم، بل ودَعا للمدينة فقال: «اللهُمَّ اجْعَلْ بالمدينة ضِعْفَيْ ما جَعَلْـتَ بمكـة مـن البَرَكَةِ» [البخـاري]. وبشَّر الحبيبُ أنصاره ﷺ بأن المدينـة كمكـة لا يدخلُها الدجَّالُ، وأنَّ الإيمان يَأْرِزُ (يأْرِز: يلُوذُ ويلجأ ويرجـع) إلى المدينة، فقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَعُودَنَّ الأَمْرُ كَمَا بَدَأَ، لَيَعُودَنَّ كُلُّ إِيمَانٍ إِلَى المدينةِ كما بَدَأَ مِنْهَا، حَتَّى يكون كُلُّ إِيمَانٍ بالمدينة». ثُمَّ قَالَ ﷺ: «لا يَخْرُجُ رَجُلٌ من المدِينَةِ رَغْبَةً عَنْهَـا إِلَّا أَبْـدَلها الله خَـيْرًا مِنْهُ، وَلَيَسْمَعَنَّ نَاسٌ بِرِخَصٍ مِنْ أَسْعَارٍ وَرِيفٍ (أي: يـسمعون أنَّ

هناك بلادًا أُخرَى أسعارُها أرخَصُ من المدينة، رِيف: أي خِصْب يجعل لخُضرتِه بهجةً من ربِّه ونعمةً ورَخاءً وازدهارًا) فَيَتَّبِعُونَهُ، والمدينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» [الحاكم].

- **عام الوفود (التاسع الهجري)**

جاء العام التاسع من الهجرة، الذي سُمِّيَ بعامِ الوفود؛ لكثرةِ الوفودِ التي جاءتْ من كُلِّ فجٍّ تدخلُ في دين الله أفواجًا، وتُعلن إسلامَها بين يدي النبي ﷺ في مسجده بالمدينة المنورة.. وكان مكانُ انتظارِ الوفودِ للقائه ﷺ بالمسجد عند أسطوانة (أي: عمود) الوفود، التي لا تزالُ قائمةً في مكانها إلى اليوم في الرَّوضةِ النبويَّةِ المشرَّفة، فإذَا أَلقيتَ نظرةً وأنت في الرَّوضةِ الشريفةِ إلى أعلَى الأعمدةِ، استطعْتَ أنْ ترَى بخطٍّ واضحٍ في نصفِ دائرةٍ خضراءَ أعلَى أحدِ أعمدةِ الروضة: «أسطوانةُ الوفود» وهي الأسطوانةُ الواقعةُ إلى شمالِ أسطوانةِ الحرس.

وتمضي الأيَّامُ والشهورُ من السنة التاسعة للهجرة، والنبي ﷺ يلتقي أفواجَ الوفودِ التي جاءتْ تُعلنُ إسلامَها، وتَحَقَّقَ وعدُ الله تعالى لنبيِّه ﷺ وللمؤمنين: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ

وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة]، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح].

- **نزول آية فرض الحج**

ووسْطَ انشغالِه ﷺ بلقاءِ الوفودِ في العام التاسع من الهجرة، يتنزَّلُ عليه الوحي بالقرآنِ، بآيةِ فَرْضِ الحجِّ، وأنَّه شَعِيرةٌ خالدةٌ في التاريخِ الإيماني: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران] [ابن سعد في طبقاته، وابن حجر في فتح الباري].

لم يكن مُمكنًا أنْ يخرجَ النَّبيُّ ﷺ إلى الحجِّ ويتركَ هذه الوفودَ التي سيُشرِّفها الله ﷻ بحملِ رسالةِ الإسلامِ وبناءِ الأمَّةِ الإسلاميَّةِ وحضارتها العظيمة، فأرسلَ أبا بكرٍ الصدِّيقَ رضي الله عنه ليحُجَّ بالنَّاسِ، وأتْبَعَه عليًّا رضي الله عنه يتلو على النَّاس في مَشْهَدِ حَجِّهم الآيات الأولى من سورة براءة: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى

ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ [التوبة].

وتردَّدتْ أصداءُ الآياتِ في بيتِ الله الحرامِ.

وفي هذه الحَجَّة وذلك العام تمَّ تطهيرُ بيتِ الله الحرامِ من الأصنام ومن كلِّ مظاهرِ الشِّرْكِ والوثنيَّةِ، ونَادَى عليٌّ ﷺ في مشهدِ الحجِّ بما أمره رسولُ الله ﷺ به، قال: «لا يَحُجَّنَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، ولا يَطُوفَنَّ بِالبَيْتِ عُرْيَانُ، ولا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ»، قال عبد الله بن عباس ﷺ: فكان عليٌّ يُنَادِي بِهَا، فَإِذَا بُحَّ قَامَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَنَادَى بِهَا [رواه الحاكم في المستدرك وصححه، ووافقه الذهبي].

وكأنَّما كانت حجَّةُ أبي بكر وعليٍّ ﷺ تهيئةً وإعدادًا لحجَّةِ رسولِ الله ﷺ: حَجَّةِ الوداع.

- **العام العاشر الهجريُّ وحَجَّةُ الوداع**

ومَضَتِ الأيامُ والشهور، ودَخَلَ العامُ العاشرُ من الهجرة، وكان عمرُ النبي ﷺ ثلاثًا وستين سنةً، وأَعلنَ النبيُ ﷺ أنه سيحجُ هذا

العام، وخطبَ النَّبيُّ ﷺ خُطبةَ الجمعة بالمدينة، فقال: «أيُّها النَّاسُ، إنَّ اللهَ ﷻ قَدْ فَرَضَ عليكمُ الحَجَّ، فحُجُّوا». فقال الأقرعُ بنُ حابس رضي الله عنه: أفي كلِّ عامٍ يا رسولَ الله؟ فسكتَ عَنْهُ ﷺ حتَّى أَعَادَها ثلاثًا، فقال ﷺ: «لا، ولو قُلْتُ: نَعَمْ؛ لَوَجَبَتْ، ولم تَسْتَطِيعُوا أَنْ تعملوا بها، ذَرُوني ما تَرَكْتُكم؛ فإنَّما هَلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكم بكثرةِ سؤالِهم واختلافِهم على أنبيائِهم، فإذا أَمَرْتُكم بشيءٍ فخُذوا منهُ ما استطعتُم، وإذا نهيتُكم عن شيءٍ فاجتنبوه، الحجُّ مرَّة، فمَنْ زادَ فهو تَطوُّعٌ». [أبو داود والبيهقي].

وفي يومِ السبتِ السادسِ والعشرين من شهرِ ذي القعدة صلَّى النَّبيُّ الظُّهْرَ بالمدينةِ أربعَ ركعاتٍ، ثم خرجَ متوجِّهًا إلى مكةَ، سالكا طريقَ الشجرةِ (وهي شجرة كانت بذي الحُليفة، على ستَّةِ أميالٍ من المدينة، وهي موضع على الطريق من المدينة إلى مكة، كما روى البخاريُ في صحيحه، وهي الطريقُ التي تمرُ اليومَ بمحاذاةِ محطةِ العنبرية، وثَنِيَّةِ المُدَرَّج، حتى تصل إلى ذي الحُلَيفة «أبيار عليّ»).

وخرج مع النبي ﷺ جمعٌ كثيرٌ رِجالًا ورُكْبانًا، معهم النساءُ

والولدان، وكان من بينهم أسماءُ بنتُ عُمَيْس زوجة أبي بكر رضي الله عنهما، وكانتْ في طَلْقِ الولادة، وضُباعة بنت الزبير بن عبد المطلب رضي الله عنها وهي بِنْتُ عمِّ النبيِّ ﷺ، وكانتْ مريضةً، فَدَخَلَ عليها رَسُولُ الله فقال لها: «لَعَلَّكِ أَرَدْتِ الحَجَّ؟»، قَالَتْ: وَالله ما أَجِدُني إِلَّا وَجِعَةً! (تعني: أجد في نفسي ضعفًا من المرض، لا أدري معه هل أَقْدِرُ على إِتمامِ الحجِّ أم لا)، فقال لها ﷺ: «حُجِّي وَاشْتَرِطِي، وَقُولي: اللَّهُمَّ مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي» [البخاري]. (أي: أحْرِمي بالحجِّ واجعلي شرطًا في حجِّك عند الإحرام، وهو اشتراطُ التحلُّلِ متَى احتجتِ إليه، ومعنى «مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي» أي: موضع تحلُّلِي من الإحرام حيثُ أَعْجِزُ عن الإِتيانِ بالمناسك).

وَصَلَ النبيُ ﷺ قبلَ صلاةِ العصر إلى (أَبيار علي) ميقات أهل المدينة [البخاري، مسند أحمد] (وكان بينها وبين المدينة مسافة عشرة كيلو مترات تقريبًا، أما اليوم فهي امتداد لعمران المدينة المنورة)، وبات ﷺ ليلتَه بها، فلما أصبحَ قال ﷺ: «أَتانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي فَقَالَ: صَلِّ في هَذَا الوَادِي المُبَارَكِ وَقُلْ: عُمْرَةٌ في حَجَّةٍ». [البخاري]. وقال ﷺ للناس: «مَنْ أَحَبَّ منكم أَنْ يُهِلَّ بِالحَجِّ فَلْيُهِلَّ،

وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُهِلَّ بِعُمْرَةٍ فَلْيُهِلَّ» [البخاري]. (ومعنى يُهِلّ، أي: يُحْرِمُ بنِيَّه).

وهذا من تيسيره ﷺ على النَّاس؛ حيث ترك لهم الاختيار بين ثلاثة أنواع من النُّسك في الحجِّ: التَّمَتُّعِ، أو القِرَانِ، أو الإفْرَادِ، ولم يُجبرْهم على نُسك واحد.

وفي تلك اللَّيلةِ وَلَدَتْ أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ زوجةُ أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه ابنها مُحَمَّد بن أبي بكر، فأرسلَتْ زوجَها أبا بكرٍ يَسألُ رسولَ الله ﷺ كيفَ تصنع؟ فأتَى أبو بكرٍ النبيَّ ﷺ فسأله، فأمَرَهُ ﷺ أَنْ يَأْمُرَهَا أَنْ تَغْتَسِلَ وتتحفَّظ بِخرْقةٍ تمنعُ سَيلانَ الدَّمِ عليها، وَتُهِلَّ بِالحَجِّ، وَتَصْنَعَ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ، إلا أَنَّهَا لا تَطُوفُ بِالبَيْتِ [النسائي وابن ماجه وابن خزيمة بإسناد صحيح].

وهذا من يُسْر هديه ﷺ أنْ جَعَلَ مَخرَجًا لأصحابِ الأعذار.

وتجرَّدَ ﷺ لإحرامِه واغتسلَ، وتطيَّبَ من كفِّي عائشة رضي الله عنها [البخاري]، وَلَبِسَ ﷺ إِحرامَهُ، وصلَّى الظُّهرَ ركعتينِ قَصْرًا، ثم رَكِبَ ناقَتَهُ القَصْواء (القصواء: مؤنث الأقْصَى من الإبل والشاة، وهو ما قُطع قليلٌ من طَرَفِ أُذنه)، وعليها رَحْلٌ رَثٌّ (الرَّثُّ:

رَدِيءُ المتاع، والقديم البالي) وقطيفة لا تساوي أربعةَ دراهم، ثُمَّ استقبلَ القبلةَ وأحْرَمَ ﷺ قارِنًا الحجَّ والعُمرةَ، وقال: «اللَّهمَّ حَجَّةً لا رِياءَ فيها ولا سُمْعةَ، لبيكَ حَجَّةً وعُمْرة» [سنن ابن ماجه، ودلائل النبوة للبيهقي].

وهذا من تواضعه ﷺ لربِّه وخشوعه لله تعالى. وفي هذا أُسْوةٌ وقُدْوةٌ لكلِّ مسلم أنْ لا يتباهَى في حجِّه بأنَّهُ يركب كذا أو يسكن كذا، بما يُميِّزه من إخوانه المسلمين. أين نَحْنُ من تواضع نبيِّ الله ورسوله ﷺ ؟! اللهُمَّ ارْزُقْنا تواضُعًا كتواضع رسول الله ﷺ.

ثم قال ﷺ: «لَبَّيْكَ اللهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إنَّ الحَمْدَ والنِّعمةَ لكَ والمُلْكَ، لا شَرِيكَ لكَ» [البخاري ومسلم].

والمتدبِّرُ لحالِه ﷺ من استعدادِه وتهيُّؤه للإحرام يرى تعظيمَه ﷺ لشعائر الله ﷻ استجابةً لقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

وتنزَّلَ عليه جبريلُ عليه السلام، فقال: «يا مُحَمَّدُ، مُرْ أصحابَك فَلْيَرْفَعُوا أَصْواتَهم بالتَّلْبيةِ؛ فإنَّها مِن شِعارِ الحَجِّ» [مسند أحمد، وسنن النسائي] (من شعار الحج: أي من علاماته ومناسكه).

وفي هذا إشارة وإلماح إلى أنْ يَشْغَلَ الحاجُّ أوقاتَه بالتَّلْبِيَـة؛ فإنَّهـا من أفضلِ الذِّكْرِ للحاجِّ.

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُلَبٍّ يُلَبِّي، إِلَّا لَبَّى، مَا عَنْ يَمِينِهِ وَشِـمَالِهِ، مِـنْ حَجَـرٍ، أَوْ شَـجَرٍ، أَوْ مَدَرٍ، حَتَّى تَنْقَطِعَ الأَرْضُ، مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَـا [أخرجـه الترمـذي وابن ماجه، والبيهقي، وصححه الألباني].

- **كم كان عدد الصحابة الذين كانوا مع النبي ﷺ في حجة الوداع؟**

ولَمَّا أَذَّنَ رسولُ الله ﷺ في النَّاسِ بالحجِّ، وأعلن أنَّه سـيحُجُّ مـع النَّاس هذا العام، لم يبْقَ أحدٌ يقدِرُ أنْ يأتي إلى المدينة راكبًا أو ماشيًا إلَّا أتَى؛ ليفوزَ بالصُّحبة المباركة ويحُجَّ مع النبـيِّ ﷺ حتَّـى أتـى إلى المدينة بشرٌ كثير؛ ليأْتَـمُّوا بإمامِ الأنبياءِ. وبلغ عددُ من نـالُوا شرفَ هذه الصُّحبة المباركة عشرات الآلاف، وأصحُّ ما ورد في بيان كثرة الذين حجُّوا مع رسول الله ﷺ ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله قال: «فَصَلَّى رَسُولُ الله ﷺ في المسجدِ، ثُمَّ رَكِبَ القَصْوَاءَ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى البَيْدَاءِ نَظَرْتُ إِلَى مَـدِّ بَـصَرِي بَـيْنَ يَدَيْـهِ مِـنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ

خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ القُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ، فأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، والمُلكَ لا شَرِيكَ لَكَ» [مسلم]. وهذا الجمع الغفير من المؤمنين هم الذين خرجوا مع النبي ﷺ من المدينة وما حولَها، وقد انضمَّ إليهم بشرٌ كثيرٌ في الطريق ومن أهلِ مكة وما حولَها.

ويمضي موكبُ الحجيجِ، ورسولُ الله ﷺ بين أَصحابه، ويسمع النَّبيُّ رجلًا يلبِّي ويقول: لَبَّيْكَ عن شُبْرُمَةَ. فأرسل إليه فدعاه، فقال: «ومَن شُبْرُمَةَ؟». قال: أخٌ لي، أو قريبٌ لي. قال: «هَلْ حَجَجْتَ عن نَفْسِكَ؟». قال: لا. قال: «فَاجْعَلْ هذه عن نَفْسِكَ، ثُمَّ حُجَّ عن شُبْرُمَةَ » [سنن أبي داود، وصحيح ابن حبان].

وكان ﷺ يَمُرُّ بالرِّجالِ يمشون، فيأمُرُ من معه هَدْيٌ بركوبِ هَدْيِه الذي ساقه معه [مسند أحمد].

وكان مع رسولِ الله ﷺ نساؤه كُلُّهُنَّ، فلما كانَ في الطريق نزلَ غلامٌ للنَّبيِّ ﷺ يقال له: أَنْجَشَة، وكان حسَنَ الصوتِ، فجعل يَحْدُو الإبلَ ويَسُوقُها، فأسرعتِ الإبلُ بِحُدائِه (بحُدائه: بِغنائه)، فقال له

النبيُّ ﷺ: «وَيْحَكَ يا أَنْجَشَةُ! رُوَيْدَكَ سَوْقَكَ، رِفْقًا بالقَواريرِ» [البخاري ومسلم]. (القَوارير: جمع قارورة، وهي الزُّجاجةُ، والمراد النساء، تشبيهًا لرقَّتِهِنَّ بالزُّجاجِ في سهولةِ الكسر).

وفي هذه المواقف هَدْيٌ مبارَكٌ لأُمَّته.. للعلماء والقادة والمعلِّمين أنْ يُلاحِظوا أتباعَهم وتلاميذَهم، وأنْ يُرشِدوهم أوَّلًا بأوَّل إلى الصَّواب والحقِّ.

- **وعثاءُ السَّفرِ ومشاكلُ الطريقِ**
  - **مَرَضُ الرَّسولِ ﷺ**

وفي الطَّريق إلى بيتِ الله الحرام قُرْبَ مكة، مَرِضَ النَّبيُّ ﷺ واشتدَّ به صُداعُ الشَّقيقة (وجعٌ في أحد شِقَّي الرَّأس ينتج عن اضطرابات في عمل الأوعية الدَّمويَّة الدِّماغيَّة، أو اختلال الأوامر العصبية في المخ، أو لأسباب وراثيَّة، وهو ما نسمِّيه اليومَ بالصُّداع النِّصفي)، فاحتجَمَ في وسط رأسه ﷺ [البخاري]. واحتجَمَ على ظهر قدمه من وجعٍ كان بِرِجْله ﷺ [البيهقي والطبراني].

وهُنا دَرْسٌ نتعلَّمُه من حبيبِنا رسولِ الله ﷺ: أنْ نستقبلَ الشَّدائدَ في السَّفَر بالصَّبْر والدُّعاء مع الأخذ بالأسباب.

○ تلطُّف النبي ﷺ مع أمَّهات المؤمنين

وبَيْنَما هُمْ يَسِيرُونَ في الطَّرِيقِ بَرَكَ جَمَلُ أُمِّ المؤمنين صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ رضي الله عنها فبكت، وَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ أُخْبِرَ بِذَلِكَ، فجَعَلَ يَمْسَحُ دموعَهَا بِيَدِهِ الشَّريفة، وجَعَلَتْ تَزْدَادُ بكاءً وهُوَ يَنْهَاهَا، فَلَمَّا أَكْثَرَتْ انْتَهَرَهَا وَأَمَرَ النَّاسَ بالنُّزُول، فَنَزَلُوا، ولم يكن يُرِيدُ أَنْ يَنْزِلَ، وَكَانَ يَوْمَ السِّيدةِ صفيَّةَ، فَلَمَّا نَزَلُوا ضُرِبَ خِبَاءُ النَّبِيِّ ﷺ ودَخَلَ فِيهِ، ولم تَدْرِ صفيَّة كيف يلقاها رسولُ الله ﷺ، فلعلَّه غَضِبَ عليها، فَانْطَلَقَتْ إِلَى أُمِّ المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها فقالتْ لها: تَعْلَمِينَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَبِيعُ يَوْمِي مِنْ رَسُولِ الله ﷺ بِشَيْءٍ أَبَدًا، وَإِنِّي قَدْ وَهَبْتُ يَوْمِي لَكِ عَلَى أَنْ تُرْضِي رَسُولَ الله ﷺ عَنِّي. قَالَتْ عائشةُ: نَعَمْ، ثُمَّ لَبِسَتْ ثِيَابَهَا وانْطَلَقَتْ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَرَفَعَتْ طَرَفَ الخِبَاءِ، فَقَالَ لَهَا: «مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ؟ إِنَّ هَذَا لَيْسَ بِيَوْمِكِ». قالَتْ: ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، فَقَضَى معها فترةَ القَيْلُولَةِ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الرَّوَاحِ قَالَ رَسُول الله ﷺ لِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رضي الله عنها: «يَا زَيْنَبُ، أَعِيرِي أُخْتَكِ صَفِيَّةَ جَمَلًا»، فَقَالَتْ: أَنَا أُعِيرُ يَهُودِيَّتَكَ؟! فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهَا، فَهَجَرَهَا ولم يكلِّمها حتى قَدِمَ مكة

وَأَيَّامَ مِنًى في سَفَرِهِ، حَتَّى رَجَعَ إِلَى المَدِينَةِ [مسند أحمد].

ونتعلَّم من حبيبِنا الهادي ﷺ سَعَةَ الصَّدر في احتواء ما يعترضُنا من أمور، ولا مانعَ من العتاب والتأديب برِفْق.

- **بعير الزاد التائه**

وفي أحَدِ منازله ﷺ في الطريق إلى مكة، في مكان يُسمَّى "العَرْج" (أحد أودية منطقة المدينة المنوَّرة)، جَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ وَجَلَسَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها إِلَى جَنْبِهِ، وَجَلَسَ أَبُو بكرٍ رضي الله عنه إِلَى جَنْبِ رَسُولِ الله ﷺ وَإِلَى جَنْبِ أَبِي بكر ابنتُه أَسْمَاءُ رضي الله عنها وكان أَبُو بكرٍ رضي الله عنه ينْتَظِرُ غُلامَهُ الذي غابَ عنه وَمعَهُ راحلتُه التي تَحْمِلُ زادَهُم ومتاعَهُم، فجَاءَ الغُلامُ يَمْشِي وَليسَ مَعَهُ البَعِيرُ، فقَالَ لَهُ أَبُو بكرٍ: أَيْنَ بَعِيرُكَ؟ قَالَ: لَقَدْ أَضْلَلْتُه! فَقَامَ أَبُو بكرٍ رضي الله عنه يَضْرِبُهُ وَيَقُولُ: بَعِيرٌ وَاحِدٌ ضَلَّ مِنْكَ وَأَنْتَ رَجُلٌ؟! فَما يَزِيدُ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى أَنْ يَتَبَسَّمَ وَيَقُولُ: «انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْمُحْرِمِ وَمَا يَصْنَعُ!!» [صحيح ابن خزيمة، والسنن الكبرى للبيهقي، والحاكم وصححه].

وكان سببُ غضبِ أبي بكرٍ رضي الله عنه على الغلامِ أنَّه لم يكن معَهُ إلَّا هذا البعيرُ، وعليه زادُ رسولِ الله ﷺ وأهلِه، وزادُ أبي بكرٍ وأهلِه

(فما لَبِثَ أَنْ طَلَعَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطِّلِ بالبعيرِ وَأَنَاخَهُ عَلَى بَابِ مَنْزِلِ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ رَسُولِ الله ﷺ لأبي بكرٍ رضي الله عنه: «انْظُرْ هَلْ تَفْقِدُ شَيْئًا مِنْ مَتَاعِك؟»، فَنَظَرَ فَقَالَ: مَا نَفْقِدُ شَيْئًا إِلَّا قَعْبًا (أي: قَدَحًا) كُنَّا نَشْرَبُ بِهِ. فَقَالَ الغُلَامُ: هَذَا القَعْبُ مَعِي. فَقَالَ أَبُو بكرٍ رضي الله عنه: أَدَّى الله عَنْكَ الأَمَانَة) [مغازي الواقدي، ٣/ ١٠٩٥].

هكذا كان عتابُ رسولِ الله ﷺ يفيضُ رِقَّةً وحنانًا ورأفةً، وتذكيرًا لطيفًا لأبي بكرٍ، وإشعارًا للحاضرين بهيبةِ مناسكِ الحجِّ، مع عدم التَّعنيف، وكيف اعتذر أبو بكر رضي الله عنه للغلام وطيَّبَ خاطرَه بقوله: أَدَّى الله عَنْكَ الأَمَانَة.

○ على خُطَى الأنبياء عليهم السلام

وفي الطَّريق يَطْوي النبيُّ ﷺ الزَّمنَ كَطَيِّ السِّجِلِّ للكتب، ويَكشِفُ لأُمَّتِه أنَّهم يسيرون في دَرْب الهداية والإيمانِ، على خُطَى أنبياء الله تعالى، فمن هُنا مَرَّ هُودٌ وصالحُ وإبراهيمُ ومُوسَى ويُونسُ صلوات الله وسلامه عليهم، والآنَ يمرُّ محمَّدٌ ﷺ، وهكذا يكون المؤمنُ في هذه المعِيَّة النُّورانيَّة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ

وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ [النساء].

تتجلَّى هذه الحقائق من قوله ﷺ حِينَ مرَّ بفَجِّ الرَّوْحاء: «لَقَدْ سَلَكَ فَجَّ الرَّوْحَاءِ سَبْعُونَ نَبِيًّا حُجَّاجًا عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، ولَقَد صَلَّى فِي مَسْجِدِ الخَيْفِ سَبْعُونَ نَبِيًّا» [الحاكم والبيهقي].

وحِينَ مرَّ بثَنِيَّةِ هَرْشَى قال ﷺ: «أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ»، قالوا: ثَنِيَّةُ هَرْشَى، قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ ابنِ مَتَّى عليه السلام عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ وَهُوَ يُلَبِّي» (جَعْدَة: مكتنزة اللَّحم، خُلْبَة: مصنوعة من لِيفٍ) [مسلم وأحمد والبيهقي].

ولـمَّا مرَّ ﷺ بِوَادِي الأَزْرَقِ قَالَ «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟»، قَالُوا: هَذَا وَادِي الأَزْرَقِ، قَالَ «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عليه السلام هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى الله بِالتَّلْبِيَةِ» (الجؤار: رفع الصوت والاستغاثة) [مسلم والبيهقي وابن ماجه وابن حبان].

ولـمَّا مرَّ ﷺ بِوَادِي عُسْفانَ قال: «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟»، قَالُوا: وَادِي عُسْفَانَ، قَالَ: «لَقَدْ مَرَّ بِهِ هُودٌ وَصَالِحٌ على بكراتٍ حُمْرٍ خُطُمُهَا اللِّيفُ، أُزُرُهُمْ العَبَاءُ، وَأَرْدِيَتُهُمْ النِّمَارُ، يُلَبُّونَ يَحُجُّونَ البَيْتَ العَتِيقَ» (بكرات: جمع بكرة، وهي النَّاقة الفَتيَّة، خُطُم: جمع خِطَام،

وهو الحبْل الذي تُقادُ به الدَّابَّة، أُزُر: جمع إزار، العباء: نوع من الثِّياب، والنِّمار: جمعُ نَمِرَة، وهي كِساءٌ مُخَطَّط) [أحمد].

وفي الزَّمن القادمِ سوف يمرُّ من نفس الطَّريق عيسى عليه السلام، قال النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ مِنْ فَجِّ الرَّوْحَاءِ بِالحَجِّ أَوْ بِالعُمْرَةِ أَوْ لَيُثَنِّيَنَّهُمَا» [أحمد والطبراني].

○ من رفق النَّبيِّ ﷺ بأصحابه

ولما قَرُبَ النبيُّ ﷺ من مكة نزلَ مكانًا يقال له: سَرِف (وهو قُرْب التَّنعيم)، عَرَضَ على أصحابِه مَنْ لم يكن ساقَ الهَدْيَ أنْ يجعلَها عُمرةً، فقال: «مَن لم يكن مَعَهُ هَدْيٌ فأَحبَّ أن يجعلها عُمْرةً فلْيَفعَلْ، ومَن كان معه هَدْيٌ فلا». ولم يَعْزِمْ عليهم، فمن أصحابِه من أخذَ بها ومنهم من لم يفعل، ثم دخلَ ﷺ على عائشةَ رضي الله عنها فإذا هي تبكي، فقال لها: «ما يُبْكِيكِ؟». قَالَتْ: لَوَدِدْتُ وَالله أَنِّي لَمْ أَحُجَّ العَامَ. قال: «فَمَا لَكِ؟». قالت: سَمِعْتُ قَوْلَكَ لأصحابِكَ ومُنِعتُ العُمْرَةَ. فقال: «لَعَلَّكِ نَفِسْتِ!» (أي: حِضْتِ)، قالت: نعَمْ. فقال لها ﷺ: «إنَّ هذا شيءٌ كَتَبَهُ اللهُ على بناتِ آدَمَ، وإنَّما أنتِ امْرَأةٌ مِنْ بناتِ آدمَ، كَتَب الله عليكِ ما كَتَبَ عليهنَّ، فلا يَضُرُّكِ، افْعَلي ما

يفعَلُ الحَـاجُّ، غـيرَ أَلَّا تَطُـوفي بالبيـتِ حتَّـى تَطهُـرِي، وكُـوني في حَجِّكِ، فعَسَى اللهُ أنْ يَرزُقَكِيها» [البخاري ومسلم]. أي: العمرة.

وهكذا حبيبُنا الهادي ﷺ رءوف بأُمَّتِه رحيمٌ بها، يُعلِّمُنـا كيـف نُسدِّد ونُقَارِب.

وباتَ ﷺ عند بئرِ «ذِي طُوى» [أخبـار مكـة للأزرقـي] المعـروف اليوم بـ «جَرْوَل»، أو «آبار الزاهر». فلما أصـبحَ صـلَّى الفجـرَ عنـد البئر.

وهذا من حكمته وتمام بصيرته ﷺ، حيثُ كان يختارُ المنزلَ الذي ينزل فيه، ومعـه أصـحابُه، فكـان يَخْتـارُ المنـزلَ المنبـسطَ الواسـعَ الفسيحَ؛ كي يسَعَ النَّاسَ ويجدوا فيه الرَّاحة، ويتوفَّرَ لهم فيه الماءُ كي يشربَ النَّاسُ والدَّوابُّ.

- **في مـكـة**

قَطَعَ رسولُ ﷺ الطريقَ بين مكة والمدينةِ في ثمانيةِ أيام.

واغتسلَ ﷺ لدخولِ مكـة، ثُـمَّ مـضَى ﷺ مُتوجِّهًـا إلى المـسجد الحرام، يرفعُ صوتَه بالتَّلْبيةِ ليطوفَ طـوافَ القُـدومِ، فلـمَّا وصَـلَ المسجدَ توضَّأَ وُضـوءَهُ للـصلاةِ، ثُـمَّ دخـلَ مـن بـابِ بنـي شَـيْبَةَ

[البخاري] البابِ الذي كان يدخلُ منه أيَّامَ كان بمكة، وكانَ ذلك يومَ الأحد الرابعِ من ذِي الحجَّةِ عند ارتفاعِ الضُّحَى.

ووصَلَ ﷺ إلى الحَجَرِ الأسودِ فاستلَمَه وكبَّرَ ثُمَّ وضعَ شفتَيْهِ عليه وبكى وسَجَدَ على الحجرِ [البخاري ومسلم].

وطافَ ﷺ بالبيتِ سبعةَ أشواط، مُضْطَبِعًا بِردائِه (أي كاشفًا كتفَه اليُمنى)، وأسْرَع المشيَ في الأشواطِ الثلاثةِ الأُوَل (الرَّمَل، وهو الهَرْوَلة، وهي منزلةٌ بين العَدْوِ والمشي)، ومشَى في الأشواطِ الأربعةِ بَعْدَها، وكان من دعائِه بين الرُّكنين (اليماني، والحجر الأسود): ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] [البخاري ومسلم].

فلما فرغَ ﷺ من طوافِه توجَّهَ إلى مقامِ إبراهيمَ عليه السلام وهو يقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. فجعلَ المقامَ بينَه وبينَ البيت، وكان المقامُ مُلْصَقًا بحائطِ الكعبةِ الشرقيِّ [فتح الباري لابن حجر]، فصلَّى ركعتين، قرأ في الأولَى بفاتحة الكتاب، و ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾، وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾

[البخاري]. ثُمَّ توجَّهَ إلى زمزمَ فشربَ منها وَصبَّ على رَأْسِه، ثُمَّ عادَ ﷺ إلى الحَجَرِ فقبَّلَه وَمَسَحَه بيديه ثم مَسَحَ بهما وجهه [مسلم].

ثُمَّ مضَى ﷺ إلى الصَّفا وقرأ: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [البقرة]، وقال ﷺ: «أَبدَأُ بما بَدَأ الله بِهِ». فبدَأَ بالصَّفَا فرَقِيَ عليه، واستقبلَ البيتَ ورفعَ يَدَيْهِ الشَّريفتينِ وقال: «لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، والله أكبر، وسُبحانَ الله، والحمدُ لله، لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له، له المُلْكُ، وله الحَمْدُ، وهُو علَى كُلِّ شيء قديرٌ، لا إلهَ إلَّا الله وَحْدَهُ، أَنجَز وَعْدَهُ، ونصَر عَبْدَه، وهزَمَ الأَحزَابَ وَحْدَهُ» [مسلم]. قالَ ذلكَ ثلاثَ مرَّاتٍ، ودَعا ما شاءَ اللهُ لهُ أنْ يَدْعُو.

ثُمَّ سعَى ماشيًا، فلما وصلَ بطنَ الوادي (وهو الآن ما بين العلمين الأخضرين بالمسعى)، هَرْوَل: أي أَسْرعَ ﷺ وَنَشِطَ في السَّعي، وهو يقول: «لَا يُقْطَعُ الأَبْطَحُ إلَّا شَدًّا، اسْعَوا؛ فإنَّ اللهَ كتَب عليكمُ السَّعْيَ» (الأَبْطَحُ: من البَطْح، وهو البَسْط، ويُطْلَقُ

على المكان المُتَّسِع يَمُرُّ به السَّيْلُ، فيتْرُكُ فيه الحَصَى الصِّغارَ، ومنه أبْطَحُ مكة. شَدًّا: بشدَّةٍ وإسراع في السَّيْر، أي: إنَّ السَّعْي بين الصَّفَا والمروةِ يُستحَبُّ أنْ يكونَ بِهِمَّةٍ ونَشاطٍ في بطن الوادي).

وَنَشِطَ رسول الله ﷺ في السَّعي حتَّى إذا تجاوزَ بطنَ الوادي مَشَى، حتَّى أتَى المروة فَرَقِيَ فَوْقَها ونظرَ إلى البيت فاستقبلَهُ وكبَّر وهلَّل، ورفع يديه ودعا، وَصَنَعَ على المروةِ كما صَنَعَ على الصَّفا [مسند أحمد، وسنن النسائي]، وكان ﷺ يدعو على الصَّفا: «اللهمَّ إنَّكَ قُلْتَ: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وإنَّكَ لا تُخْلِفُ الميعادَ، وإنِّي أسْأَلُكَ كما هديتني للإسلام أنْ لا تَنْزِعَهُ منِّي حتَّى توفَّاني وأنا مُسْلِمٌ» [موطأ مالك].

وكان خَبَرُ قُدومِ النَّبيِّ ﷺ إلى المسجدِ الحرامِ للحجِّ قد ذاعَ بينَ أهلِ مكة، فأقْبَلَتْ جموعٌ كثيرةٌ من أَعمارٍ مُختلفةٍ، كُلُّهم يرغبُ في رُؤيةِ رسولِ الله ﷺ، الذي نصرَهُ الله وأيَّدَهُ وأَظْهَرَ دينَهُ، إنَّ مكة كُلَّها تَنْظُرُ إلى رسولِ الله ﷺ اليومَ بغيرِ النَّظرةِ التي كانوا عليها لرسولِ الله ﷺ قبلَ هجرتِه، أيامَ كانَ بينَهم يدعوهم إلى دينِ الله، وهم يُحاولونَ القضاءَ عليه وعلى دعوتِه، ويُلاحِقُونَهُ بصنوفِ

الأذَى. أمَّا الآنَ فقد ظَهرَ الحقُّ وزَهَقَ الباطلُ وزالت الغشاوةُ التي كانتْ تَحْجُبُهم عن الإيمانِ وعن أنوارِ هـذا النَّبـيِّ المَكِـينِ ﷺ. فلـمَّا عَلِمُوا بقُدومِه ﷺ إلى المسجدِ الحرامِ للحَـجِّ أَسرعـوا إِليـه بقلـوبٍ يَمْلَؤُها الشَّوقُ والحبُّ. فلمَّا كَثُرَ النَّاسُ الذين قَـدِموا لرؤيتـه دَعـا النبيُّ بناقتِهِ فرَكِبَها كي يراهُ النَّاسُ في يُسْرٍ وسهولةٍ، وأَتَمَّ ﷺ سَـعْيَهُ بين الصَّفا والمروةِ راكبًا [مسلم، سنن أبي داود].

فلما أَتمَّ ﷺ سعيَهُ عند المروة، أمَرَ مَنْ لم يَسُق الهَدْي من أصحابِه أَنْ يحِلُّوا من إحرامِهم ويجعلوها عُمْـرةً، فقـال: «مَـنْ كـان مـنكم أَهْدَى فَإِنَّهُ لا يَحِلُّ مِنْ شَيْءٍ حَرُمَ مِنْهُ حَتَّى يَقْـضِيَ حَجَّـهُ، وَمَـنْ لم يكن منكم أَهْدَى فَلْيَطُفْ بِالبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ، وَلْيُقَـصِّرْ (أي: شعرَه) وَلْيَحْلِلْ (أي: يتحلَّل من العمرة)، ثُمَّ لْيُهِلَّ بِالحَجِّ وَلْيُهْـدِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ هَدْيًا فَلْيَصُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّـامٍ فِي الحَـجِّ وَسَـبْعَةً إِذَا رَجَـعَ إِلَى أَهْلِهِ» [البخاري ومسلم].

وقام سُراقةُ بن مالك بن جُعْـشُم ﷺ، وهـو في أَسـفلِ المـروةِ، فقال: يا رسولَ الله، أَرَأيتَ مُتعتنا لِعَامِنا هذا، أم لأبَدِ الأبد؟ فشبَّك رسولُ الله ﷺ أَصابعَه واحدةً في أخرى، وقال: «لا بَلْ لأبدِ أبدٍ، لا

بل لأبدِ أبدٍ، دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الحَجِّ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ » [مسلم وأحمد وأبو داود]. (لأبدِ أبدٍ: معنى الأبَد: الدَّهْر، والمراد: على طُولِ الزَّمانِ ومرورِ السِّنين والأعوام).

- **في الأَبْطَح**

ثُمَّ سارَ ﷺ بمَنْ معهُ حتَّى نزلَ بالأَبْطَح شرق مكة، وهو مكانٌ واسعٌ به آبار مياه يشرب منها النَّاسُ، ويشمل الأَبْطَحُ اليوم: «المعابدة» و«الجميزة» إلى «الحَجُون»، وكان منزل النبي ﷺ فيما يعرف اليوم بالجعفرية، وهي أَدْنَى الأَبْطَح إلى الحَجُون. وتصف السيِّدةُ أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ رضي الله عنهما حالَهم حين نزلوا بالأَبْطَح بقولها: نَزَلْنا مع رسولِ الله ﷺ ها هنا، ونحنُ خِفافُ الحقائب، قليلٌ ظَهْرُنا (أي: الدوابُّ التي تحملنا)، قليلةٌ أَزْوادُنا (أي: طعامنا) [البخاري ومسلم].

وأقام النبيُّ ﷺ بالأَبْطَح أَربعةَ أيام: الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء، ولم يذهب إلى المسجد الحرام والكعبة المشرَّفة خلال تلك المدَّة [البخاري]، وصلَّى بالصَّحابةِ رضي الله عنهم في الأَبْطَح؛ رِفْقًا بهم ودفعًا للمشقة.

- **رسول الله ﷺ يدعو لسعد بن أبي وقاص ﷺ بالشفاء**

ومع انشغال النبي ﷺ بأمْرِ النَّاسِ، واستغراقِه في القيامِ بشئونِهم، فإنَّه لم يُغْفِلْ تَفَقُّدَ أصحابه ورعايتَهم؛ فها هو ذا يذهبُ إلى سعد بن أبي وقَّاص ﷺ يَعُودُه من مرضٍ اشتدَّ به، فلمَّا دخلَ عليه وَجَدَه وَجِعًا (أي: مريضًا) قد أوشَكَ أنْ يموتَ، فلمَّا رأى النَّبيَّ ﷺ بكى، فقال له رسولُ الله ﷺ: «مَا يُبْكِيكَ؟»، قَالَ: خَشِيتُ أَنْ أَمُوتَ بِالأَرْضِ الَّتِي هَاجَرْتُ مِنْهَا كما مَاتَ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ. فقالَ ﷺ: «لا، إِنْ شَاءَ الله».

قال: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، قَدْ بَلَغَ بِيَ الوَجَعُ مَا تَرَى، وأَنَا ذُو مَالٍ، ولا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: «لا». قُلْتُ: أَفَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ؟ قَالَ: «لا، الثُّلُثُ يَا سَعْدُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ؛ إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يتكفَّفون النَّاسَ، وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ الله إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فَمِ امْرَأَتِكَ». قَالَ: يَا رَسُولَ الله، أُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِي؟ قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ الله إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً، وَلَعَلَّكَ تُخَلَّفُ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ

آخَرُونَ». ثُمَّ وَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ عَلَى جَبْهَتِه ثُمَّ مَسَحَ صَدْرَهُ وَبَطْنَهُ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا (قالها ثلاثًا)، وَأَتْمِمْ لَهُ هِجْرَتَهُ». قَالَ سَعْدٌ رضي الله عنه: فَمَا زِلْتُ أَجِدُ بَرْدَ يَدِهِ ﷺ عَلَى كَبِدِي!

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ أَمْضِ لأَصْحَابِى هِجْرَتَهُمْ، وَلا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، لَكِنِ البَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ». يَرْثِي لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ مَاتَ بمكة [البخاري ومسلم].

- **إلى مِنى (الثامن من ذي الحجة)**

حتَّى إذا كان يوم التَّرْوية، وهو اليوم الثَّامنُ من ذي الحجَّة، رَكِبَ ﷺ إلى مِنًى وَقْتَ الضُّحَى، (وأحْرَمَ بالحجِّ مَنْ كان مُتمتعًا وحَلَّ بعد العُمرة)، فصلَّى بمِنًى الظُّهْرَ والعصرَ والمغربَ والعشاءَ والفجرَ؛ يقصر الرُّباعيَّة ركعتين، ويُصلِّي كلَّ صلاة في وقتها [مسلم].

- **إلى عرفات (التَّاسع من ذي الحجة)**

ولَمَّا أشرقتْ شمسُ يوم عرفةَ، يوم الجمعة التاسع من ذي الحجة في العام العاشر من الهجرة، سارَ النَّبيُّ ﷺ من منًى إلى عرفاتٍ ومعه

أصحابُه، أصواتُهم ترتفعُ بالـذِّكْرِ، فمـنهم الملبِّـي، ومـنهم المُهِـلُّ، ومنهم المكبِّر، لا يُنْكِرُ أحدٌ مـنهم عـلى صـاحبه [البخاري]، حتَّـى وصلَ إلى « نَمِرَةَ »، فإذا قُبَّةٌ من شَعرٍ قد ضُرِبَتْ له هناك، فجلـسَ فيها، حتَّى إذا زالت الشَّمسُ؛ ركبَ ناقتـه القَـصْواء بعـد الـزوالِ مباشرة، (الزَّوالُ: بدايةُ مَيْلِ الشَّمس عن وسط السماء)، ثم نزل إلى بطن «وادى عُرَنَة»، وهو أرض سـهلةٌ فَـسيحةٌ، واجتمـع النَّـاسُ حوله في بطن الوادي، فأشرفَ ﷺ على النَّاس واعتمدَ بإحدَى يديه على مُقدَّمِ الرَّحْلِ وبالأُخْرَى على مُؤَخَّرِهِ ونادَى: «يا أيُّهـا النَّـاسُ، أَنْصِتُوا؛ فإنكم لَعَلَّكم لا تَرَوْني بَعْدَ عامكم هذا».

وخَطَبَ فيهم فقال ﷺ: «إِنَّ دماءكم وأمـوالكم علـيكم حَـرَامٌ كَحُرْمَةِ يومكم هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُـوعٌ تَحْـتَ قَـدَمَيَّ هَـاتَيْنِ، وَدِمَـاءَ الجَاهِلِيَّـةِ مَوْضُوعَةٌ، وَأَوَّلُ دَمٍ أَضَعُهُ دِمَاؤُنَا: دَمُ رَبِيعَةَ بْنِ الحَـارِثِ بْـنِ عَبْـدِ الْمُطَّلِبِ، وَرِبَا الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًّا أَضَعُهُ رِبَانَا: رِبَا الْعَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، وَإِنَّ كُـلَّ رِبًـا مَوْضُـوعٌ، لكـم رُءُوسُ أموالكم لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ، قَضَى الله أنْ لَا رِبَا.

أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا الله فِي النِّسَاءِ، فـإنكم أَخَـذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَـةِ الله، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بكلمة الله، أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ (عَوَانٍ: جمع عَانِيَةٍ، وهـي الأسـيرة)، لَا يملكـنَ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا، وَلَيْسَ تملكون مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِـكَ، إِلَّا أَنْ يَـأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، وَإِنَّ لكم عَلَى نسائكم حَقًّا، ولنسائكم عليكم حَقًّا، فَأَمَّا حقكم عَلَى نسائكم: فَلَا يُوطِئْنَ فرشـكم مَـنْ تكرهـون، وَلَا يَأْذَنَّ فِي بيوتكم لِمَنْ تكرهون، أَلَا وَحَقُّهُنَّ عليكم أَنْ تُحْسِنُوا إِلَـيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ، فإنْ خِفْتُمْ نُشُوزَهُنَّ فعِظُوهُنَّ، واهْجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ، واضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أطعنكم فَلَا تَبْغُـوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا.

وَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فيكم مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْـدَهُ أَبَـدًا إِنِ اعْتَـصَمْتُمْ بِـهِ كِتَابَ الله، أَلَا وَإِنِّي فرطكم (أي: سَابِقُكم) عَلَى الحَـوْضِ، وَأُكَـاثِرُ بكم الأُمَمَ، فَلَا تُسَوِّدُوا وَجْهِي، أَلَا وَإِنِّي مُسْتَنْقِذٌ أُنَاسًا، وَمُـسْتَنْقَذٌ مِنِّي أُنَاسٌ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُصَيْحَابِي؟! فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَـدْرِي مَـا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَاعْقِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَاسْمَعُوا قَوْلِي، فَإِنِّي قَدْ بَلَّغْـتُ»

[البخاري ومسلم].

• **تأمُّلات في خُطبة الوداع**

من الرُّبوع الطَّاهرة، والبقاع المقدَّسة الشريفة، حيثُ فَضْلُ المكانِ وشرفُ الزمانِ، حيث خير يوم تشرق عليه الشمس، ومن عمق الزمن البعيد كان هنا آدم عليه السلام، وكان هنا إبراهيم عليه السلام، وهنا الآن محمد ﷺ النبي الخاتم في حَجَّة الوداع.. يُوصِي أمَّتَه، وينادي في الإنسانيَّة كلِّها ـ كلِّ البشر على الكوكب الأرضي بأسْرِه ـ في مشهدٍ ربانيٍّ مهيب ـ يُعلن النبي ﷺ عن إنسانيَّة الإسلام، ويؤكِّد المشترَكَ الإنسانيَّ الذي يجمع بين الناس جميعًا في أُخُوَّةٍ إنسانيَّة أبوها آدمُ وأمُّها حوَّاء.

بدأ ﷺ خطبته بقوله: «أَيُّهَا النَّاسُ»؛ ليكون ما بينهم من تنوُّع في الثقافات واللغات والأفكار سبيلًا إلى التعارف والتعاون، بدلًا من الصِّراع والعدوان. أكَّد ذلك بقوله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ ربكم وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، ولا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، ولا لأحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، ولا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أكرمكم عِنْدَ الله أَتْقَاكُم».

قَدَّمَ رسولُ الله ﷺ في خطبة الوداع خلاصةً هاديةً للهَدْيِ

الربَّاني، لإنقاذ البشريَّة من كـلِّ صـور الـضَّلال وألـوان الفـساد، فأسْقَطَ ﷺ الرِّبا بكلِّ أشكاله التي جلبت الغلاءَ على البشريَّة، حتَّى تحكم الخُمْسُ الشريُّ في ثـروة العـالم، بينما أربعـة أخمـاس البـشر يعيشون في ضياع وضنك وهلاك.

وأسْقَطَ ﷺ الثأر، وشدَّد على حرمة الـدماء.. حرمـة الإنـسان، فقيمة الإنسان في الإسلام غالية، فهذا أعظم مـن الأشـياء، وهـذا عكس حضارة الأشياء التي جعلَتْ قيمةَ الإنسان بـما يملـك مـن أشياء؛ لِذا أوصى ﷺ بالضعفاء من الأجـراء والعـاملين والفقـراء والمساكين.

وفي وصيَّةٍ فريدة يأمر رسول الله ﷺ : «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»؛ لخطورة دور المرأة في الحياة.

وبعد الخطبة أَذَّنَ بلالٌ ﷺ بنداءٍ واحد، ثُمَّ أقـامَ فـصلَّى رسـولُ الله ﷺ الظُّهْرَ، ثُمَّ أقامَ فصلَّى العصرَ (قصرًا وجمعَ تقديم) ليس بينهما نافلة [مسلم].

ثُمَّ رَكِبَ النَّبيُّ ﷺ راحلتَه وتوجَّـهَ إلى جبـل الرَّحمـة عنـد ذيـلِ الجبل، وجعل بطن ناقته القصواء إلى الصَّخرات والجبلَ بين يديه،

واستقبلَ القبلةَ رافعًا يديه داعيًا ومُلبِّيًا [مسلم]، ثم قال ﷺ: «الحَجُّ عَرَفَةُ» [البخاري ومسلم]، وقال ﷺ: «وقَفْتُ هَاهُنَا، وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ» [مسند أحمد].

ويسقط رَجُلٌ من أهلِ الموقفِ عن راحلتِهِ عند الصَّخراتِ فتنفصمُ عنقُه ويموتُ لا يُذْكَرُ اسمُه بينَ النَّاسِ، لكنَّ ذِكْرَه عند الله يَبْقَى مرفوعًا، فقال النبيُّ ﷺ: «اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ، وَلَا تُمِسُّوهُ بِطِيبٍ، وَلَا تُخَمِّرُوا (أي: لا تُغَطُّوا) رَأْسَهُ؛ فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا» [البخاري ومسلم].

ويُرشِدُ النبيُّ ﷺ أمته إلى فضلِ الدُّعاءِ في هذا اليومِ المبارَك، فقال ﷺ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [سنن الترمذي].

وفي هذا الموقف نزل عليه قول الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة] [البخاري].

وقُبَيْلَ غروبِ الشَّمسِ قال ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ دُنْيَاكُمْ فِيمَا مَضَى مِنْهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ من يومكم هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ» [مسند أحمد].

ولعل هذا الهَدْيَ المحمَّديَّ الذي يُؤكِّد زوالَ الدُّنيا، وأنَّه لم يَبْقَ منها إلَّا القليل، يدفع النَّاسَ إلى الزُّهْدِ في دنيا النَّاس، بعد أنْ شغلتنا أموالُنا وأهلونا.

ودعا رسول الله ﷺ بأسامةَ بن زيدٍ رضي الله عنهما ليكونَ رَديفًا له على دابَّتِه (أي: يركب خلف رسول الله)، وفي هذا تطبيقٌ عمليٌّ على إزالةِ الفوارقِ بينَ النَّاسِ على أساسٍ من اللَّونِ أو القبيلةِ أو الطبقةِ أو الغِنَى... فقد كان أسامةُ رضي الله عنه شابًّا أسودَ اللونِ وليس من كبار القوم، بل كان من الموالي [طبقات ابن سعد، ٤/ ٦٣، سير أعلام النبلاء، ٢/ ٥٠٠].

- **إلى مزدلفة**

وبعد غروب شمس يوم عرفة، توجَّه النبي ﷺ إلى المَشْعَرِ الحرامِ (مُزْدَلِفَة) وأرشدَ ﷺ النَّاسَ قائلًا: «ادْفَعُوا بِاسْمِ الله» [سنن ابن ماجه، والسلسلة الصحيحة]. وينادي النبيُّ ﷺ في النَّاس: «رُوَيْدًا أَيُّهَا

النَّاسُ، عليكم السَّكِينَةَ، فَإِنَّ البِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ» [السنن الكبرى للبيهقي] (الإيضاع، أي الإسراع). وأفاضَ ﷺ من طريق المأَزَمَيْن (المأْزَم: كلُّ طريقٍ ضيِّق بين جبلين، وهو طريقٌ بين عرفةَ والمزدلفة، وقد مُهِّدتْ فيه ثلاثة طرق أحدها للمُشاة، وهو طريق المشاة اليوم).

ولَمَّا وصلَ النبيُّ ﷺ إلى المَشْعَرِ الحرام (المزدلفة) نزل عند جبل قُزَح مكان المسجد الموجود الآن، بدأَ بصلاةِ المغربِ والعشاءِ جمعًا بأذانٍ واحدٍ وإقامتين ليس بينهما تسبيحٌ (أي: نافلة) مع قَصر العشاء، فعلَ النبيُّ ﷺ ذلك والأمتعةُ لا تزالُ على الإبل، فلمَّا فرَغوا من الصلاة قاموا إلى أَمتعتِهم ورِحالهم [البخاري ومسلم].

واستأذنتْ أمُّ المؤمنين سَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ رضي الله عنها رسولَ الله ﷺ ليلةَ المزدلفة أنْ تَنْفِرَ (أي: تنصرف) إلى مِنًى قبل نَفرةِ النَّاس وازدحامِهم، وكانت امرأةً ثقيلةً بطيئةً، فأذِنَ لها، فكانتْ أم المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها تقول: فَلَأَنْ أَكُونَ اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ الله ﷺ كَمَا اسْتَأْذَنَتْ سَوْدَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَفْرُوحٍ بِهِ. [البخاري ومسلم] (أي: أحبُّ إليَّ من البقاء بالمزدلفة حتَّى الفجر، وكان هذا سببَ فرحٍ

وسرورٍ لمن ظلَّ بها حتَّى الفجر؛ لأنه مع النبي ﷺ).

ونام ﷺ حتى السَّحَر (آخر الليل) ثم استيقظ ﷺ فقدَّمَ ضُعفاءَ أهلِهِ إلى مِنًى: أمَّ حبيبةَ وأمَّ سَلَمةَ وَصِبْيَةً من بني عبد المطَّلب فيهم ابن عباس رضي الله عنهما [البخاري]، وقال ﷺ لعمِّه العبَّاس رضي الله عنه: «اذْهَبْ بِضُعَفَائِنَا وَنِسَائِنَا، فَلْيُصَلُّوا الصُّبْحَ بِمِنًى، وَلْيَرْمُوا جَمْرَةَ العَقَبَةِ قَبْلَ أَنْ تُصِيبَهُمْ دَفْعَةُ النَّاسِ». فدَفَعُوا بسَحَر، وصَلَّوا الصُّبحَ بمنى [فتح الباري].

- **يوم النَّحْر (العاشر من ذي الحجة)**

فلما جاءَ الفجرُ قَامَ ﷺ إلى صلاةِ الفجرِ فصلَّاها في أَوَّلِ الوقتِ، ثُمَّ رَكِبَ راحلتَهُ فَرَقِيَ جبلَ قُزَح، وهو تلٌّ مُطِلٌّ على المسجد الموجود اليومَ بمزدلفة، وَرَفَعَ يديه الشَّريفتين فحَمِدَ الله وكبَّرَهُ وهَلَّله ووَحَّدَ ربَّهُ ولبَّى، تحقيقًا لقوله ﷻ: ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [البقرة: ١٩٨]، ثم قال: «وَقَفْتُ هَاهُنَا، وَمُزْدَلِفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ، وَارْفَعُوا عَنْ بَطْنِ مُحَسِّرٍ» [مسلم].

وظلَّ النبيُّ ﷺ في المشعر الحرام (المزدلفة) حتَّى قاربتْ الشَّمسُ أنْ تَطْلُعَ، فأمَرَ ابنَ عمِّهِ الفضلَ بنَ العبَّاس بن عبد المطَّلب رضي الله عنهما

أنْ يَلْقُطَ له حَصَى الجِمار، وقال: «هَاتِ، الْقُطْ لِي». فالتقطَ له سَبْعَ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الخَذْفِ: (أي: صغار بحجم حبة الحمص أو الفول)، فلمَّا وضعهن في يده قال ﷺ: «بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ فَارْمُوا، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قبلكم الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ» [مسند أحمد، سنن أبي داود].

- **إلى منى (العاشر من ذي الحجة)**

ثُمَّ تحرَّكَ النَّبيُّ ﷺ من مزدلفةَ وهو يُنادي في النَّاس: «عليكم السَّكِينَةَ» [مسلم]، حتى إذا وصل إلى وادي مُحسِّرٍ بين مزدلفةَ ومِنًى (وهو المكان الذي أهلك الله فيه أبرهةَ مَلِكَ الحبشة وجيشه بأفياله الضخمة التي أتوا بها لهدم الكعبة، حيث أرسل الله ﷻ عليهم طيرًا بحجارةٍ خارقةٍ مُدمِّرة كما جاء في سورة الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾، حرَّكَ ناقتَه وأَسْرَعَ قَدْرَ رَمْيَةٍ بِحَجَرٍ [مسلم].

وسلك ﷺ الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى [مسلم]، حتى وصل إليها، جاعلًا مِنًى عن يمينه، ومكة عن يساره،

ومعه بلال وأسامة ﭫ، أحدُهما مُمسكٌ بخِطامِ ناقتِه، والآخرُ رافعٌ ثوبًا يظلِّله به، وهو يرمي جمرةَ العقبةِ بسبعِ حصياتٍ، يُكبِّرُ مع كلِّ حصاة، ولم يَقْطَع التلبيةَ حتَّى رمَى الجمرةَ [البخاري ومسلم]، وكان ﷺ متواضعًا لربِّه ﷻ مُعظِّمًا لشعائره، قال قدامة بن عبد الله الكلابي ﭬ: رأيتُ رسولَ ﷺ رمَى جمرةَ العقبةِ يومَ النَّحْرِ على ناقةٍ صَهْباءَ، بِلَا زَجْرٍ ولا طَرْدٍ ولا: إِلَيْكَ إِلَيْكَ [مسند أحمد، جامع الترمذي] («إِلَيْكَ إِلَيْكَ» تعبير معناه: أَفْسِحُوا الطريقَ، يقوله حُرَّاسُ الملوك والأمراء لإبعاد الناس عن طريقهم، ومعنى «صهباء»: حمراء).

ويُنادي النبي ﷺ النَّاسَ حولَهُ عند الجمرةِ قائلًا: «يا أَيُّها النَّاسُ، لا يَقْتُلْ بعضكم بَعْضًا، وَلَا يُصِبْ بعضكم بَعْضًا، وَإِذَا رَمَيْتُمُ الجَمْرَةَ فَارْمُوا بِمِثْلِ حَصَى الخَذْفِ، وَلْتَأْخُذُوا عَنِّي مناسككم؛ فَإِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» [مسلم]. (الخَذْفُ: رَمْيُ الحصياتِ الصِّغار بأطرافِ الأصابع).

ثُمَّ وقفَ رسولُ الله ﷺ على ناقته العَضْبَاء (العَضْباء: مشقوقة الأُذُن، ليكونَ ذلك علامةً تُميِّزُها) بين الجمرات عند ارتفاع

الضحى، فقال لجرير بن عبد الله البجلي ـ وكان رجلًا طويلًا جَهِيرَ الصَّوت ـ : «أَسْكِتِ النَّاسَ». فحَمِدَ الله وأثْنَى عليه، ثُمَّ قال ﷺ: أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ فَهُو اليَوْمَ كَهَيْئَتِه يَوْمَ خَلَقَ الله السَّمَاواتِ والأرْضَ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ [التوبة: ٣٦]، وفسَّر ﷺ الأشهُرَ الحُرُمَ بقوله: «رَجَبُ مُضَرَ بَيْنَ جُمَادَى وشَعْبَانَ، وذُو القَعْدَةِ، وذُو الحِجَّةِ، والمُحَرَّمُ».

ثمَّ تَلَا قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓـُٔ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧]، (النَّسِيء في اللغة: التأخير، وكان أهلُ الجاهليَّة يتَّخذون منه وسيلةً للتَّهرُّب من الالتزام بتركِ القتال في الأشهر الحرم، فيؤخِّرون تحريمَ رجب إلى شعبانَ، والمحرَّم إلى صَفَرَ، ثُمَّ أخَّرُوا تحريم صَفَرَ إلى ربيع، وفعَلُوا هذا شهْرًا بعْدَ شهْرٍ حتَّى اسْتَدَارَ التَّحْريمُ على السَّنَة كُلِّها، وقد بيَّن ﷺ معنَى النَّسيء فقال: «كانُوا يَجْعَلُونَ صَفَرَ عامًا حرامًا وعامًا حلالًا،

ويجْعَلُونَ الْمُحَرَّمَ عامًا حلالًا وعامًا حرامًا، وذلك النَّسِيءُ من الشَّيْطان»).

وهذا لون من العبث البشريِّ بشرْع الله تعالى، بدافع الهوَى، فلْيَحْذَرِ المؤمن من التَّلاعب والعبث بدين الله ﷻ، وكم من النَّاس يَحْلُو له أنْ يُبدِّلَ وأنْ يُغيِّرَ في شرع الله لِيوافِقَ هواه، أو العصرَ أو الظُّروف... إلخ.

ثم قال ﷺ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فسكت حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ ذَا الحِجَّةِ». قَالُوا: بَلَى. ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟»، قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فسكت حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ البَلْدَةَ؟». قَالُوا: بَلَى. ثُمَّ قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فسكت حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «فَإِنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَهُ كَحُرْمَةِ يومكم هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلَا إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ، فَلَيْسَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ إِلَّا مَا أَحَلَّ مِنْ نَفْسِهِ، وَحَتَّى دَفْعَةٌ دَفَعَهَا مُسْلِمٌ مُسْلِمًا يُرِيدُ بِهَا سُوءًا حَرَامٌ، أَلَا هَلْ

بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ فَاشْهَدْ.

وَسَأُخْبِرُكُمْ مَنِ الْمُسْلِمُ، مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الخَطَايَا وَالذُّنُوبَ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ الله تَعَالَى. أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفسِهِ، وَلا يَجْنِي وَالِدٌ عَلَى وَلَدِهِ، وَلا مَوْلُودٌ عَلَى وَالِدِه، أَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بعضكم رِقَابَ بَعْضٍ، وإنكم سَتَلْقَوْنَ ربكم ﷻ فيسألكم عن أعمالكم، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ فَاشْهَدْ.

وتمضي الوصايا النَّبويَّةُ الكريمةُ تَرْبِطُ القلوبَ بخالِقِها، وتَلْفِتُ العقولَ إلى الحقيقةِ الكبرى الخالدةِ في هذا الوجود، إنها حقيقةُ الإيمانِ بالخالقِ ﷻ وطاعتِه. وتُبيِّنُ للإنسانِ المنهجَ القويمَ الَّذي يسلُكه: مع ربِّه ﷻ، ومع نفْسِه، ومع النَّاسِ، وما لَهُ من حقوقٍ وما عليه من واجباتٍ، وتُبيِّن لنا سُبُلَ النَّجاةِ والفَلَاحِ في الدُّنيا والآخرةِ، فيقول ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أنْ يُعْبَدَ في بَلَدِكُمْ هَذَا آخِرَ الزَّمَانِ، وقَدْ رَضِيَ منكم بِمُحَقَّرَات الأعْمَالِ؛ فَاحْذَرُوهُ في دينكم. أيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ أُمِّرَ عليكم

عَبْدٌ حَبَشِيٌّ أَسْوَدُ مُجَدَّعٌ (أي: مقطوع الأنف أو الأذن) يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ الله تَعَالَى، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا، ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لله، وَمُنَاصَحَةُ أُولِي الأَمْرِ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِم» (ومعنى: «لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ»: أي: إنَّ القلبَ المعتقدَ لهذه الخصال الثلاث لا يُصيبُه غِلٌّ أو حِقْدٌ أو نفاقٌ أو فسادٌ أو خيانة ما دام على اعتقاده لها).

ثُمَّ ذَكَرَ ﷺ المَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَأَطْنَبَ فِي ذِكْرِهِ وَقَالَ: «مَا بَعَثَ الله مِنْ نَبِيٍّ إِلا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ، أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فيكم، فَمَا خَفِيَ عليكم مِنْ شَأْنِهِ، فَلَيْسَ يَخْفَى عليكم أَنَّ ربكم لَيْسَ بِأَعْوَرٍ، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنبَةٌ طَافِيَةٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي والله لا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا، فَرَحِمَ الله مَنْ سَمِعَ مَقَالَتِي اليَوْمَ فَوَعَاهَا فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يكون أَوْعَى مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ».

ثُمَّ رفعَ رأسَهُ إلى السَّماءِ، فقال: «اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ

بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ اشْهَدْ، اللهُمَّ اشْهَدْ».

وجعلَ يرفع رأسَه ليُسْمِعَ الناسَ، ويقول: «أَلَا تَسْمَعُونَ»، يُطوِّل في صوته. وينادي: «يَا أُمَّتَاهُ، هَلْ بلغتكم؟»، حتَّى قال صبيٌّ في الموقِف لأمِّه: يا أُمَّهْ، مَا لَهُ يدعو أُمَّهُ؟ فقالت له: يا بُنَيَّ، إنه لا يدعو أُمَّهُ، إنَّما يعني أُمَّتُه. وودَّع ﷺ الناس، فسُمِّيت: حَجَّة الوداع.

وتوجَّه النَّاسُ إلى رسول الله ﷺ يسألونه عن أحكام المناسك، فجاءه رجلٌ فقال: حَلَقْتُ قَبْلَ أنْ أَرْمِيَ؟ فقال: «ارْمِ وَلَا حَرَجَ». وجاءه رجلٌ فقال: حَلَقْتُ قَبْلَ أنْ أذْبَحَ؟ فقال: «اذْبَحْ وَلَا حَرَجَ». وجاءه رجلٌ فقال: لَمْ أشْعُرْ فَنَحَرْتُ قَبْلَ أنْ أَرْمِيَ؟ قال: « ارْمِ وَلَا حَرَجَ». وجاءه رجلٌ فقال: طُفْتُ قَبْلَ أنْ أَرْمِيَ؟ قال: «لَا حَرَجَ». وقال قائلٌ: سَعَيْتُ قَبْلَ أنْ أَطُوفَ. قال: «لَا حَرَجَ». فَمَا سُئِلَ يَوْمَئِذٍ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ، وَلَا أُخِّرَ إلَّا قَالَ: «افْعَلْ وَلَا حَرَجَ». [البخاري ومسلم].

وهذا من تيسيره ﷺ على أُمَّتِه، وليكن لنا في حبيبنا المصطفَى ﷺ أسوةٌ وقُدْوةٌ، بالأخذ بالأيسر رأفةً بالنَّاس ورحمةً بهم.

وجاءت الأعرابُ من كل اتِّجاه فقالوا: يا رسولَ الله، أفْتِنا في

كذا، أَفْتِنا في كذا. فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الله قَدْ وَضَعَ عنكم الحَرَجَ، إِلَّا رَجُلًا اقْتَرَضَ مِنْ عِرْضِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، فَذَاكَ الَّذِي حَرِجَ وَهَلَكَ» (ومعنى «وَضَعَ عنكم»: رفعَ عنكم، والحرَج: الضِّيق والعُسْر، بل فَسَحَ لكم، فلا حَرَجَ إِلَّا على من «اقْتَرَضَ» أي: نال من عِرْضِ مُسلم). قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، نَتَدَاوَى؟، قَالَ: «نَعَمْ، فَإِنَّ الله لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ»، قَالُوا: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «الهَرَمُ». (الهرم: الشَّيخوخة). قَالُوا: مَا خَيْرُ ما أُعْطِيَ النَّاسُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «خُلُقٌ حَسَنٌ» [مسند أحمد].

وهذا هَدْيٌ عظيم لرسول الله ﷺ في الأخذ بالأسباب مع التوكُّل على الله، ففِعْلُ السَّببِ طاعةٌ، وترْكُ السَّببِ معصيةٌ، والاعتمادُ على السَّببِ شِرْكٌ بالله تعالى.

ثم نزل النبيُّ ﷺ منزلَهُ بمنى، مكانَ مسجد الخَيْفِ الآن، وأنزل المهاجرين عن يمينه، والأنصار عن يساره، والنَّاسُ حولهم من بعدهم [مسند أحمد]. وهذا من حكمته ﷺ وتمام بصيرته؛ إذ اختار مكانًا منبسطًا يَسَعُ النَّاسَ، وقريبًا من رمي الجمرات؛ حتَّى لا يَشُقَّ عليهم. (من دلالات كلمة خَيْف: ما ارتفع عن موضع مجرى

السَّيل وانحدر عن غِلَظ الجبل، والجمع: أخياف، ومنه قيل: مسجد الخَيْف بمِنًى؛ لأنه في خَيْفِ الجبل، وخَيْفُ مكة: موضعٌ فيها عند مِنًى، سُمِّي بذلك؛ لانحداره عن الغِلَظ وارتفاعه عن السَّيل. وفي الحديث: «نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ»، يعني المُحَصَّب، ومسجد مِنًى يُسَمَّى مسجدَ الخَيْفِ؛ لأنه في سفح جبلها [لسان العرب: خ ي ف]).

وسأله أصحابُه أن يبنوا له بمِنًى بناءً خاصًّا يُظِلُّه، فأَبَى عليهم أن يكونَ له بناءٌ يميِّزُه في هذا المشعر من سائر الناس، وقال: «لَا، مِنًى مُنَاخٌ لِمَنْ سَبَقَ» [سنن أبي داود] (أي: من حَقِّ كلِّ من سبق بالوصول إليها أن يُقيمَ بها، وليست حكرًا على أحد).

وليتنا نراجع أنفسَنا جميعًا في ضوء هذا الحديث؛ حتَّى يكون أمرُ إقامتنا في مِنًى أيَّام التَّشريق موافقًا لهديه ﷺ، بلا امتيازات أو خصوصيَّة لأحد.

- **النبي ﷺ في المَنْحَرِ**

ثم مضى ﷺ إلى المنحر، وهو ما بين مسجد الخَيْفِ والجمرةِ الصُّغْرَى، وَنَحَرَ النبي ﷺ ثلاثًا وستين بَدَنَةً، ثم نحر عليُّ بن أبى

طالب بقية المئة، وهى سبع وثلاثون بدنة، وإذا بالإبل الخرساء وهي تُقرَّب إلى رسول الله لِيَنْحَرَها قُرْبانًا لربِّه ﷻ؛ إذا بالإبل يَزْدَلِفْنَ (أي: يقتربن منه ﷺ) لرسولِ الله ﷺ، أيها يبدأ به أوَّلًا! [مسند أحمد].

صلوات ربِّي وسلامه على سيِّدنا رسول الله ﷺ، فقد حنَّتْ له الجماداتُ، كحنين الجِذْعِ الذي كان يخطب عليه، وحنَّتْ له الحيوانات، فأين نَحْنُ من ذلك؟ أين البشر أصحاب القلوب والمشاعر؟!

وأمر ﷺ عليًّا ﷺ أن يقوم على هذه الإبل، وقال له: «اقْسِمْ لُحُومَهَا وجِلَالَهَا (الجِلالُ: ما يُكسَى به ظهور الإبل) وجلودَها بينَ النَّاس، وَلا تُعْطِيَنَّ جَزَّارًا مِنْهَا شَيْئًا، نَحْنُ نُعْطِيهِ مِنْ عِنْدِنَا، وَخُذْ لَنَا مِنْ كُلِّ بَعِيرٍ حُذْيَةً مِنْ لَحْمٍ (الحذية هي: القطعة الصغيرة من اللحم)، ثُمَّ اجْعَلْهَا فِي قِدْرٍ وَاحِدَةٍ، حَتَّى نَأْكُلَ مِنْ لَحْمِهَا، وَنَحْسُوَ مِنْ مَرَقِهَا» [البخاري، مسند أحمد]. وقال: «نَحَرْتُ هَا هُنَا وَمِنًى كُلُّهَا مَنْحَرٌ، وَكُلُّ فِجَاجِ مكة طَرِيقٌ وَمَنْحَرٌ، فَانْحَرُوا فِي رحالكم (أي مكان نزولكم في منى)» [مسلم].

ومن هنا جاز التوكيل في الـذَّبح في الهَـدْي والفِدْيـة، صـلى الله وسلَّم عليك يا سيِّدي يا رسول الله، يـا صـاحبَ الحكمـة البالغـة والبصيرة التَّامَّة.

وأهْدَى ﷺ عمَّن اعتمر من نسائه بقرةً بيـنهن، قالـت عائـشة: دُخِل علينا يومَ النَّحْرِ بلحمِ بقرٍ، فقلـت: مـا هـذا؟! قـالوا: نَحَـرَ رسولُ الله ﷺ عن أزواجه [البخاري].

وقسَّم ﷺ وهو في المنحر غنمًا على أصحابه هَديًا لَمن لم يكن معـه هَدْي، فأصاب سعد بن أبي وقاص ﷺ منها تَيْسًا فذبحه عن نفسه [مسند أحمد].

- **النبي ﷺ بين يدي الحلَّاق**

ولما فرغ النبي ﷺ من المنحر طلب الحلَّاق ليحلق رأسـه، فجـاء مَعْمَرُ بن عبد الله العدويُّ ﷺ ومعه الموسَى، فنظر رسول الله ﷺ في وجهه ثم قال له مُلَاطِفًا: «يَـا مَعْمَـرُ، أمكنـك رَسُـولُ الله ﷺ مِـنْ شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ وَفِي يَدِكَ المُوسَى!». فقال معمر: والله يَا رَسُولَ الله، إِنَّ ذَلِكَ لِمَنْ مَنِّ الله ﷻ وَفَضْلِهِ عَلَيَّ. فقـال ﷺ: «أَجَـلْ إِذًا أُقِـرُّ لَـكَ». (أي: أَثْبُتُ وأستقر لك). ثم سوَّى شعره بيده، وقبض عـلى شـعر

شِقِّه الأيمن، وقال للحلَّاق: «احْلِقْ»، ثم قبض بيده على شعر شِقِّه الأيسر، وقال للحلَّاق: «احْلِقْ»، وأشار إلى جانبه الأيسر [البخاري ومسلم].

ودعا رسول الله ﷺ للمحلِّقين، فقال: «اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ». قالوا: والْمُقَصِّرينَ يا رسول الله. قال: «اللهمَّ ارْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ». قالوا: والْمُقَصِّرينَ يا رسول الله. قال: «والْمُقَصِّرِينَ». قال مالك بن ربيعة رضي الله عنه: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول ذلك، وأنا يومئذٍ محلوقُ الرَّأس، فما يَسُرُّني بحلق رأسي حُمْرُ النَّعَمِ [البخاري] (أي: هذا عندي خير من كرام الإبل).

وبعد أن رمى ﷺ الجمرة يوم العيد ونَحَرَ وحَلَقَ ونزعَ ملابِسَ إحرامِه واغتسل، لَبِسَ ثيابه، وطيَّبَتْهُ عائشةُ رضي الله عنها بأطيبِ ما تجد من الطِّيب، وضَمَّخَتْ بيديها رأسَه الكريم مسكا [البخاري ومسلم].

- **إلى طواف الإفاضة (العاشر من ذي الحجة)**

ثم ركب ﷺ إلى البيت الحرام، مُرْدِفًا أسامة بن زيد رضي الله عنهما، فلما وصل إلى الكعبة طاف راكبًا، وكان يستلم الركن بمِحْجَنٍ في يده

(المِحْجَنُ: عَصًا رأسها مَحْنِيٌّ يُقْبَض عليه باليد للتمكن منها)، ويكبِّر، ويُقَبِّل طرف المِحْجَن [البخاري ومسلم]، فلما فرغ من طوافه أناخَ راحلتَه، فصلَّى ركعتين [البخاري ومسلم]، وسعى الذين تمتَّعوا من أصحابه بين الصفا والمروة لحجِّهم، كما سَعَوْا قبل ذلك لعُمْرتهم، وأما رسولُ الله ﷺ ومَن لم يحل ممن ساق الهدي من أصحابه، فلم يسعوا بين الصفا والمروة بعد طوافهم هذا.

ثم ذهب ﷺ إلى سقاية عمه العباس رضي الله عنه؛ حيث كان يسقي الناس النبيذَ (النبيذ: هو الماء الذي يُلْقَى فيه التمر أو الزبيب لتحليته، وبخاصة ماء الآبار؛ لملوحته) فاستسقى من أوعيتهم التي يجعلون فيها سقاية الناس، فقال عمُّه العباسُ لابنه الفضل: يا فضلُ، اذهب إلى أمِّك، فأْتِ رسول الله ﷺ بشرابٍ من عندها. فأبى ﷺ ذلك، وقال: «لا حَاجَةَ لِي فِيهِ، اسْقُونِي مِمَّا يَشْرَبُ مِنْهُ النَّاسُ» [البخاري].

وهذا شأن صاحب الخلق العظيم، مَنْ أرسلَه الله ليتمِّمَ مكارمَ الأخلاق، كان ﷺ أُسْوةً في التَّواضُع ولين الجانب، فاللَّهُمَّ خَلِّقْنا بخُلُقِه وأدِّبْنا بأدبه ﷺ.

ثم أتى النبيُّ ﷺ زمزمَ، وبنو عبد المطلب يعملون فيها لسقاية الحجيج، فقال: «اعْمَلُوا؛ فإنكم عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ». فنزعوا له دلوًا فشرب منها وهو قائم وقال لهم: «لَوْلَا أنْ تُغلَبُوا لنَزَلْتُ حتَّى أَضَعَ الحَبْلَ عَلَى هَذِهِ». وأشار إلى عاتقه ﷺ [البخاري].

ونتعلَّم من رسول الله ﷺ أنْ لا نُغالبَ النَّاسَ على ما أفاءَ الله عليهم من نِعَم.

- **النبي ﷺ بمنى**

ثم عاد ﷺ إلى مِنًى، فصلَّى بالنَّاسِ صلاةَ الظُّهر [مسلم]، ومكث بها يومَهُ يصلِّي بمسجد الخَيْفِ الصلوات في أوقاتها، ويَقْصُر الرُّباعيَّةَ منها، وقال ﷺ: «صَلَّى بِمَسْجِدِ الخَيْفِ سَبْعُونَ نَبِيًّا» [سنن البيهقي، السلسلة الصحيحة].

وهنا أخي المؤمن إلماحةٌ نُورانيَّة: هل رأيتَ البركة في الوقت لرسول الله ﷺ، يُنجز هذه الأعمال متوالية في هذا الوقت اليسير، لنتعلَّم أنَّ البركة في الوقت، في العمر، في الأعمال هي من الله تعالى، وأنَّ التيسير والتَّوفيق نعمة غالية من نعم الله تعالى يَمُنُّ بها على عباده المخلصين.

وفي اليوم الحادي عشر من ذي الحجة ـ ويسمَّى: يوم الرُّءوس، ويوم القَرِّ ـ (سُمِّي يوم الرءوس؛ لأنهم كانوا يأكلون فيه الرءوس، حتَّى لا يُسْرِعَ إليها الفساد. ويُسمَّي: يوم القَرِّ؛ لأن الحجَّاج يستقرون فيه بمنى، ويُسمَّى أيضًا أوسطَ أيَّام التَّشريق (أي: أفضلها) خطب رسولَ الله ﷺ فحَمِدَ الله وأثنَى عليه، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟»، قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «أَلَيْسَ المَشْعَرَ الحَرَامَ؟»، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَلَيْسَ أَوْسَطَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ؟»، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وأعراضكم وأموالكم عليكم حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يومكم هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فَلْيُبَلِّغْ أَدْنَاكُمْ أَقْصَاكُمْ. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ، فَلَا يَحِلُّ لامْرِئٍ مُسْلِمٍ مَالُ أَخِيهِ إِلَّا عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا. أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ فَاشْهَدْ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ ربكم وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ الله يَقُولُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا

خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات].

أَيُّهَا النَّاسُ، أَرِقَّاءَكُمْ أَرِقَّاءَكُمْ، أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَاكْسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَإِنْ جَاءُوا بِذَنْبٍ لا تُرِيدُونَ أَنْ تَغْفِرُوهُ فَبِيعُوا عِبَادَ الله وَلا تُعَذِّبُوهُمْ. أَلَا وَإِنَّ الوَلَدَ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الحَجَرُ (الوَلَد لِلْفِرَاشِ، أي: كلُّ مولود ينبغي أنْ يُنْسَب إلى أبيه الذي وُلِد في فراشه، والعاهر: الزَّاني، ومعنى لِلعَاهِرِ الحَجَرُ: له الخيبةُ والحرمانُ، ومعنى الخيبة هنا حِرمانُه الولدَ الذي يدَّعيه، وجرت عادةُ العرب أن يقولوا لمن أرادوا الدُّعاءَ عليه بالخيبة والحرمان: له الحجَر، وبِفِيهِ الحجرُ والتراب)، وحِسَابُهُمْ عَلَى الله تَعَالَى، ومَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله والملائكة والنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ الله مِنْهُ صَرْفًا وَلا عَدْلًا يَوْمَ القِيَامَةِ» (الصَّرْفُ: الفريضة، والعَدْلُ: التطوُّع، وقِيل: الصَّرْف: التَّوبة، والعَدْل: الفِدْية، والمراد أنَّ الله ﷻ لا يقبل له عملًا). ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟»، قالوا: بلَّغ رَسُولُ الله ﷺ [أحمد والترمذي والبيهقي وابن حبان].

• **النبي ﷺ يرمي الجمار**

ولما انتصف النهارُ وزالت الشَّمسُ (زالت الشَّمسُ: مالَت عن وسطِ السَّماء) توجَّه ﷺ إلى الجمرات ماشيًا، فبدأ بالجمرة الصغرى، وجعَلَ مِنًى عن يمينِه ومكة عن يسارِه، فرماها بسبعِ حَصَياتٍ، يُكبِّر الله مع كلِّ حصاة، ثم تقدَّم حتى وصل إلى أسفل الوادي؛ ليبعد عن زحام الناس، فرفع يديه واستقبل القِبْلةَ يُكبِّر الله ويسبِّحه ويحمده، ودعا وتضرَّع طويلًا، ثم قصد الجمرةَ الوسطى فجعَلَ مِنًى عن يمينِه ومكة عن يسارِه، فرماها بسبعِ حَصَياتٍ، يُكبِّر مع كلِّ حصاةٍ كما صنع عند الصغرى، ثم أخذ ذات الشمال واستقبل القبلة ورفع يديه ذاكرًا وداعيًا ومتضرِّعًا، وأطال الوقوف، وكان وقوفه عند الجمرتين قريبًا من قراءة سورة البقرة، وكان وقوفه عند الجمرة الثانية أطول من الجمرة الأولى، ثم مضى إلى جمرة العقبة فاستقبلها، وجعل مِنًى عن يمينِه، والقبلةَ عن يسارِه، ورماها بسبعِ حَصَياتٍ، يُكبِّر مع كلِّ حصاةٍ، ولم يقف عندها [البخاري].

وهكذا صنع في اليوم الثاني عشر، وتأخَّر ﷺ إلى اليوم الثالث

عشر، ولم يتعجَّل، وكان يمشي إلى الجمرات ذاهبًا وراجعًا، وربما ركب أحيانًا في رجوعه منها [مسند أحمد].

فلما رمى في اليوم الثالث عشر وقت الزَّوال، وكان يوم الثلاثاء، توَجَّهَ منصرفًا إلى المحصَّب «خَيْف بني كنانة» (ويقع اليوم في الجميزة حول مبنى أمانة العاصمة المقدَّسة)، قَبْلَ أنْ يُصلِّي الظُّهر، ثُمَّ نزل رسولُ الله ﷺ في خَيْف بني كنانة فصلَّى به الظهر والعصرَ والمغربَ والعشاء [البخاري ومسلم]، وجعل الناس ينصرفون في كل وجه، فقال ﷺ: «لا ينفرنَّ أحدٌ حتى يكونَ آخرُ عهده بالبيت» [مسلم].

وقالت له أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تلك الليلة: يا رسولَ الله، يرجع النَّاسُ بعُمْرةٍ وحجَّةٍ، وأرْجِعُ أنا بحَجَّة! تُشير إلى أنها لم تأتِ بعمرةٍ مستقلَّة قَبْلَ حجِّها كما صنع بقيَّةُ أزواج النبي ﷺ، وإنما كانت قارنةً بسبب حيضتها، فقال لها رسولُ الله ﷺ: «يَسَعُكِ طَوافُكِ بالبيتِ لِحَجِّكِ وعُمْرَتِكِ». فأبَتْ، وقالت: يا رسولَ الله، يَنطلِقُ الناسُ بحجٍّ وعُمْرةٍ وأنطلقُ بحجٍّ، ويرجِعُ النَّاسُ بأَجْرَيْن وأرجعُ بأجرٍ واحد! قال: «إنَّ لكِ مثلَ ما لهم». قالت: إنِّي أجِدُ في نفسي

أنِّي لم أَطُفْ بالبيت حتى حججت. فدعا أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما فقال ﷺ: «اخْرُجْ بِأُخْتِكَ إِلَى التَّنْعِيمِ، فـإذا هبطـت مـن الأَكَمة (الأكَمة: التَّلّ)، فَلْتُهِلَّ بِعُمْـرَةٍ (أي: تُحْـرِم بعمـرة)، فَإِنَّهَـا عُمْرَةٌ مُتَقَبَّلَةٌ، ثُمَّ افْرُغَا مِنْ طوافكما، أَنْتَظِـرُكُمَا هَـا هُنَـا». ثـم قـال لها: «إنَّ لك من الأجر في عمرتك على قـدر نَـصَبِك (أي: تعبـك) ونفقتك». قالت: يا رسولَ الله، ألا أدخل البيـت؟ تعنـي الكعبـة. قال: «ادخلي الحِجْرَ؛ فإِنَّهُ من البيت».

قالت عائشة: فأردفَني عبد الرحمن خلفه على جمله، فإنِّي لَأَذْكُرُ وأنا جاريةٌ (أي: خفيفـة سريعـة الحركـة) حديثـةُ الـسنِّ، أنْعَـسُ فيصيبُ وجهي مُؤخَّرَ الرَّحْلِ (خشبة في آخِرِ الرَّحْلِ، يستند إليهـا الراكب. والرَّحْلُ: مركبٌ من خشبٍ يُوضَعُ على ظهر البعير، وهو للبعير كالسَّرْج للفَرَس)، وكانتْ ليلةً شديدةَ الحرِّ، فكنـتُ أَحْـسِرُ خِماري عن عُنُقي (أي: أكشفه)، فيتناول رِجْلي فيضربها بالرَّاحلـةِ، فقلتُ: هل ترى من أحد؟! فانتهينا إلى التنعيم، فأهللتُ بعمرة، ثم قَدِمْتُ على رسول الله ﷺ وهو بالحَصْبة لم يَبْرَحَ (أي: لم يُغادر)، وقد هَجَعَ هَجْعَةً (أي: رَقَدَ رَقْدةً خفيفة) في المحصَّب حتى ذَهَبَ جزءٌ

من الليل، فاستيقظَ في آخِرِ اللَّيل؛ ليسيرَ بمَن معه إلى الكعبة فيطوفَ طوافَ الوداع، وجاءته عائشة ﵂ وهو في منزله من آخر الليل فقال: «هَلْ فَرَغْتُما؟». قالت: نعم. قال: «هذهِ مكانَ عُمْرَتِك» [البخاري].

وحين عزم ﷺ الرَّحيلَ وَجَدَ زوجه صفية ﵂ على باب خبائها حزينة، وكانت قد حاضت، فقالت: ما أراني إلَّا حابستكم. قال: «أوَ ما كُنْتِ طُفْتِ يوم النَّحْرِ؟». قالت: بلى. قال: «لا بأسَ، فانْفِرِي» [البخاري].

وشكت إليه أمُّ سَلَمَةَ ﵂ أنها مريضةٌ ولا تستطيعُ الطَّوافَ مع الناس، فقال لها: «إِذَا أُقِيمَتْ صَلَاةُ الصُّبْحِ فَطُوفِي عَلَى بَعِيرِكِ وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ» [البخاري].

- **الوداع**

دخل ﷺ إلى المسجد الحرام، فطاف بالكعبة طواف الوداع في وقت السَّحَر، ثم صلَّى بالنَّاسِ صلاةَ الصُّبح بسورة الطور [البخاري ومسلم]، وكانت هذه آخرَ صلاةٍ صلاها ﷺ أمام الكعبة.

ثم خرج ﷺ من «مكة» من المكان المعروف اليوم بـ «الشبيكة»،

وسلك الطريق الذى جاء منه عائدًا إلى المدينة المنورة.

وكانت حَجَّةُ الوداع رمزًا لاكتمال دين الله وتمامه، وآيةً من آيات ظهور الإسلام، والتمكين له في الأرض، لقد استدارَ الزمانُ كهيئتِه يومَ خَلَقَ الله السماواتِ والأرضَ، وعادتْ مكة طاهرةً مطهَّرةً كما كانت في عهد أبي الأنبياءِ إبراهيمَ عليه السلام. وتَمَّ لرسول الله ﷺ مهمَّةُ بلاغ الرِّسالة وأداء الأمانة، فوَدَّعَ النبيُّ أُمَّتَه يتهيَّأ للقاء ربِّه، يُكثِرُ من التَّسبيح والحمدِ والاستغفار كما أمَرَه ربُّه في سورة النَّصر.

فصلوات ربِّي وسلامه عليك يا سيِّدي يا رسولَ الله.. نشهَدُ أنَّكَ بلَّغْتَ الرسالةَ، وأدَّيْتَ الأمانةَ، ونَصَحْتَ الأُمَّةَ، وجاهَدْتَ في الله حقَّ جهاده، فجزاك الله عن أُمَّتِكَ خيرَ ما جَزَى نبيًّا عن أُمَّته. واللهُمَّ آتِه الوسيلةَ والفضيلةَ والدَّرَجةَ العاليةَ الرَّفيعة، وابعَثْهُ المقامَ المحمودَ الذي وَعَدْتَه. اللَّهُمَّ آمين.

ونسأل الله عز وجل أنْ يرزقنا حجَّةً مبرورةً مبارَكة، على هَدْي نبيِّه الكريم، نستضيء فيها بنوره، ونتلمَّس مواضع خطوه الشَّريف، فتنفُذُ وصاياه إلى قلوبنا، وتتنزَّل علينا من ربِّنا البركاتُ، وتفيض علينا النَّفحاتُ والرَّحمات.

اللهمَّ أكرمنا يا ربنا برفقة الحبيب المصطفى ﷺ في معيَّة قولك سبحانك: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء]. اللَّهُمَّ آمين.

- **رجـاء**

وإنْ حُزْتَ أخي فضلَ المكان وشَرَفَ الزَّمـان، وبَرَكـةَ التَّـأسِّي بالحبيب المصطفى ﷺ وكُنْتَ من وفد الله وحُجَّـاج بيتـه، فـاذْكُرْني بدعوةٍ مباركةٍ، وبلِّغْ سلامي إلى سيِّدنا رسول الله ﷺ.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين

و الحمد لله رب العالمين

رقم الإيداع: ٢٠١١/٤٦٧٢

هذا الكتاب

- سطور مضيئة من فيض المشاعر، ولهفة الأشواق، وشغف الحبِّ، وتدفُّق الحنين .. إلى قُرَّة أعيننا، وتِرْياق نفوسنا، وبلسم قلوبنا، وأُغْرودة شِفاهِنا .. إلى عطر ذِكرَى الهادي البشير، والسِّراج المنير، إلى نور الله فينا، ورحمة الله للعالمين ﷺ.
- الدافع لكتابة هذه السطور الرَّغبةُ الصَّادقة في صُحبته ﷺ في أقدس اللَّحظات .. المتبتِّلة الوقورة .. لحظات الوداع، والنبيُّ ﷺ يوصي أُمَّته وصيَّةَ مودِّع .. في أفضل البقاع وأشرف الأزمنة.